مصدر القرآن الكريم

د. عبد الودود بن مقبول حنيف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ * قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا﴾ [الكهف: ١ – 2] ونصلي ونسلم على النبي العربي القرشي الهادي البشير النذير الذي أنزل الله تعالى عليه القرآن بواسطةِ أمين الوحي جبريل عليه السلام، فتكفل سبحانه بحفظه فوصل إلينا سالماً من غير تحريفٍ أو تبديل أو زيادةٍ أو نقص، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، اللهم صل وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه الغُرِّ الميامين.

أما بعد: فإن القرآنَ الكريم هو المعجزة العظمَى والحجة البالغة لخاتَم الأنبياء والمرسلين، لا يتطرق إليه شكٌ ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ * لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢]، فهو كتابُ إعجازٍ وهداية، وكتابُ تشريعٍ، وقد وصف نبينا محمدٌ صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب بأوصاف ومزايا فقال عليه الصلاةُ والسلام: ((... كِتَابُ اللهِ فِيهِ نَبَأُ مَا كَانَ قَبلكُم وَخَبَرُ مَا بَعدَكُم وَحُكمُ مَا بَينَكُم، وَهُوَ الفَصلُ ليسَ بِالهَزَل، مَن تَرَكَهُ مِن جَبَّارٍ قَصَمَهُ الله، وَمَن ابتَغَى الهُدَى فِي غَيرِهِ أَضَلَهُ الله، وَهُوَ حَبلُ اللهِ المتِينُ، وَهُوَ الذِّكرُ الحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ المستَقِيمُ، هُوَ الذِي لا تَزِيغُ بِهِ الأَهوَاءُ وَلا تَلتَبِسُ بِهِ الأَلسِنَةُ، وَلا يَشبَعُ مِنهُ العُلمَاءُ، ولا يَخلَقُ عَلى كَثرَةِ الرَّدِّ، ولا تَنقَضِي عَجَائِبُهُ، هُوَ الذِي لم تَنتَهِ الجِنُّ إذ سَمِعَتهُ حَتَّى قَالُوا ﴿إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا * يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ﴾ [الجن: ١- ٢] مَـن

قَال بِهِ صَدَقَ، وَمَن عَمِل بِهِ أُجِرَ، وَمَن حَكَمَ بِهِ عَدَل، وَمَن دَعَا إِلَيهِ هَدَى إِلى صِرَاطٍ مُستَقِيمٍ)) [1].

والقرآنُ الكريم معجزة النبي صلى الله عليه وسلم الخالدة، ومنذُ نزوله يحاول المرجفون الإساءةَ إليه والاعتداءَ عليه، والطعن والانتقاص منه خاصةً في مصدره، وقد ذكر القرآنُ الكريم بعض هذه المطاعن ورد عليها ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا * قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٥ - ٦]، ووصفوه بأنه مفترى من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال الله عز وجل عنهم: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَلَا تَمۡلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الأحقاف: ٨]، وأشاروا إلى أنه قولُ شاعر أو كاهن فأبطل الله الدعوى

(1) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب فضائل القرآن باب ما جاء في فضل القرآن من طريق حمزة الزَّيَّات عن أَبي المختَارِ الطائيِّ عَن ابنِ أَخِي الحارِثِ الأَعوَرِ عن الحارث عن علي مرفوعاً، وقال عقبه: ((هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لا نَعرِفُهُ إلا مِن هَذَا الوَجهِ، وَإِسنَادُهُ مَجهُولٌ وَفِي الحَارِثِ مَقَالٌ)) 5/172، 173 وضعفه الإمام الألباني، انظر ضعيف سنن الترمذي 303، وقد وثق الحديث موقوفاً بعض العلماء، فقال العلامة ابن كثير رحمه الله تعالى: ((لم ينفرد بروايته حمزة بن حبيب الزيات بل قد رواه محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي عن الحارث الأعور، فبرئ حمزة من عهدته، على أنه وإن كان ضعيف الحديث فإنه إمامٌ في القراءة، والحديث مشهورٌ من رواية الحارث الأعور وقد تكلموا فيه، بل قد كذبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده، أما أنه تعمد الكذب في الحديث فلا والله أعلم))، ثم قال رحمه الله: ((وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وقد وهم بعضهم في رفعه، وهو كلامٌ حسن صحيح، على أنه قد روى له شاهدٌ عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم))، ثم ذكر هذا الشاهد انظر فضائل القرآن لابن كثير ص 16، 17.

﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الحاقة: ٤١ - ٤٣]، ولقد كرس المستشرقون جهودهم المالية والفكرية لدارسة القرآنِ الكريم والإسلام، ووقفوا منهما موقف الخصومة والاستنكار حتى أضحى القرآنُ الكريم هو أغنى المواضيع عندهم على الإطلاق، وأنشئت في العالم معاهد وكليات غرضها الرئيس هو حربُ الأمة الإسلامية في قرآنها وعقيدتها وأخلاقها وسلوكها، والعمل على غرس مبادئ الكفر والإلحاد في نفوس المسلمين وأبنائهم، وهدم القيم الصحيحة الموجودة في القرآن، وصدق الله، فقد قال في أوجز عبارةٍ وأدقِّ تصوير: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وقد قالوا بأن القرآن الكريم هو مجموعةٌ من الافتراءاتِ والأساطيرِ، فضلاً عن الأشياء الأخرى التي اتهموا القرآن بها من أن القرآنَ ذو صياغةٍ شِعرية ينطلقُ فيها خَيالُ النبي صلى الله عليه وسلم(1)، كما أكد ذلك مونتيه (2)، وبلاشير (3)، وأرادوا أن يستغلوا هذا في تأييدِ فكرتهم في أن القرآنَ ليس وحياً من عند الله تعالى، وهذه غايةٌ خبيثة، وكان مِحور الطعنِ هو الوحي السماوي المتمثل في كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يتركوا شيئاً

---

(1) انظر: الاستشراق للسيد فرَج ص 137.

(2) ولد بمدينة ليون من أصل سويسري، اشتهر بدراساته عن العرب والإسلام، ترجم معاني القرآن إلى الفرنسية، ونقلت الترجمة إلى الإيطالية انظر: المستشرقون، نجيب العقيقي 229/1.

(3) بلاشير مستشرق ولد سنة 1900م كان محاضراً في السوربون في الأدب العربي، من أهم مؤلفاته ترجمة القرآن في ثلاثة مجلدات، وكتاب مشكلة محمد، انظر: المستشرقون، نجيب العقيقي 309/2.

من التشويه إلا نسبوه إليهما، يقول المستشرق الفرنسي كارادي فو[1]: ((ظل محمد زمناً طويلاً يُعْرف في الغرب معرفةً سيئة، فلا تكاد توجد خرافة ولا فظاظة إلا نسبوها إليه))[2]، ولا ريب أن للاستشراقِ آثاراً بليغة في بعض أبناء المسلمين، وفي صد الغربيين عن الدخول في الإسلام، مع أن هناك بعض الدراسات التي اتَّسمت بالموضوعية، وما يفعله الأعداء في هذا العصر وخاصة بعض المستشرقين الذين يتظاهرون بالأمانة العلمية والنَّزاهة المجردة عن الهوى أشد خطراً وأعظم مكراً ودهاءً؛ لالتواء هذه الأساليب وتنوعِ حيلها واستخدامها جميع الفنونِ للصدِ عن سبيل الله، والطعنِ في كتاب الله تعالى[3]، والغرض الرئيس لهؤلاء المستشرقين هو تذويب شخصية الأمة الإسلامية وتمييعها وقطع الصلة بينها وبين قرآنها وسنة نبيها ومنهجِ ربها.

ولقد تعرض القرآن الكريم لافتراءات ودسائس كثيرة منذ فجر الدعوة الإسلامية، وألفت في ذلك كتب كثيرة اهتمت بنواح عِدة، فكان هناك كتبٌ اهتم أصحابها بمصادر القرآن، وتهدف غالبية هذه الكتب إلى إثارة الشبهات والمزاعم حول المصدرِ الإلهي للقرآن الكريم وأصالة القرآن، فمنها:-

- المدخل إلى القرآن لبلاشير الفرنسي، ونشر في باريس 1947م.
- المدخل إلى القرآن د. بل، ونشر في إدنبره عام 1954م.

---

(1) مستشرق فرنسي مولود سنة 1867م له مؤلفات منها: مفكرو الإسلام، انظر: المستشرقون، نجيب العقيقي 238/2.

(2) انظر: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية 22/2.

(3) المستشرقون والقرآن ص 6 . 7.

- المصادر الأصلية للقرآن للمنصر البورتستانتي سانت كلير تسدال.
- مصادر القصص الأصلية في القرآن وقصص الأنبياء، لسايدر سكاي، باريس 1932م.
- مصادر القصص الكتابي في القرآن، لسباير.
- مصادر تاريخ القرآن، لآرثر جفري.
- القرآن والكتاب، للخوري الحداد.
- تاريخ القرآن لبوتيه، طبع في باريس 1904م.
- التطور التاريخي للقرآن، لإدوارد سيل، مدراس الهند 1898م.
- مواد لدراسة تاريخ نص القرآن، لآرثر جفري، ليدن 1937م.
- تاريخ النص القرآني، لأجناس جولدتسهر، جوتنجن 1860م.
- تاريخ النص القرآني، لنولديكه.

وأكثر المستشرقين لم يتوصلوا إلى تكوين فكرة صحيحةٍ عن مصدر القرآنِ ولا عن الوحي الذي أنزله الله على نبيه، فانساق الكُتَّابُ الغربيون وراءهم يرددون الفكرة نفسها من غير بينة، بل إن المتعصبين منهم عندما يتحدثون عن الرسول والقرآن والإسلام تتحوَّل ألسنتهم إلى معاول هدمٍ[1]، وما أجمل ما قاله الأمير شَكيب أَرسَلان[2] عنهم: «وإذا عثروا على حكاية شاردة أو نكتة واردة في زاوية كتاب قد يكون محرفاً تساقطوا عليه تهافت الذباب على الحلوى،

---

(1) انظر: مناهج المستشرقين 32/2.

(2) شَكيب بن حمود بن حسن أرسلان من سلالة التنوخيين ملوك الحيرة، من أكابر الكُتَّاب يُنعت بأمير البيان من أعضاء المجمع العلمي العربي، توفي سنة 1366هـ، انظر: الأعلام للزركلي 173/3.

وجعلوها معياراً ومقاساً، لا بل صيروها مَحَكًّا يعرضون عليها سائر الحوادث))[1]، والواجبُ على أمة القرآنِ هو التصدي لشبهات المستشرقين وأباطيلهم وتحريفاتهم للقرآنِ الكريم؛ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] وقوله: ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢]، وقد نوه الله تعالى بعظمة القرآنِ بذِكرِ حِفظِه له قبل نزوله فقال تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ * فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ [عبس: ١١ - ١٦]، وحفظه أثناء نزوله، فقال: ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ﴾ [الإسراء: ١٠٥]، وحفظ الله تعالى القرآن بعد نزوله كما وعد، وسيبقى محفوظاً إلى قيام الساعة، وامتثالاً لأمر النبي صلى الله عليه وسلم الذي حثنا على العناية بالقرآنِ الكريم والاهتمام به وتقديره وصَونه، يقول طَلحَةُ بن مصرّف: سَأَلتُ عَبدَ اللهِ بنَ أَبِي أَوفَى: أَوصَى النَّبِيُّ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلمَ؟ فَقَالَ: لا، فَقُلتُ: كَيفَ كُتِبَ عَلى النَّاسِ الوَصِيَّةُ، أُمِرُوا بِهَا ولم يُوصِ؟ قَال: أَوصَى بِكِتَابِ اللهِ [2]. قال الحافظ ابن حجر[3] رحمه الله: ((ولعل النبيَّ صلى الله عليه وسلم اقتصر على الوصية بكتاب الله؛ لكونه أعظم وأهم، ولأن فيه تبيانَ كل شيء إما بطريق النص، وإما بطريق الاستنباط، فإذا اتبع الناس ما في الكتاب عملوا بكل

---

(1) انظر: الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتبعية الثقافية ص 326.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب الوَصاة بكتاب الله عز وجل ص 1093.

(3) أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني أبو الفضل شهاب الدين، ابن حجر، من أئمة العلم والتاريخ، له مؤلفات كثيرة، قال السخاوي عنه: ((انتشرت مصنفاته في حياته وتهادتها الملوك وكتبها الأكابر)) توفي سنة 852 هـ، انظر: الأعلام للزِّركلي 178/1.

ما أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم به؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧][1]». وقال: «والمرادُ بالوصية بكتاب الله تعالى حِفظه حساً ومعنى، فيكرمُ ويُصان، ولا يُسافرُ به أرضَ العدو، ويُتَّبع ما فيه، فيعمل بأوامره ويجتنب نواهيه، ويداوم على تلاوته وتعلمه وتعليمه ونحو ذلك»[2].

وإنه من حقِّ كل أمةٍ أن يعرف أبناؤها ما يقوله الآخَرون عنها في عقيدتها وأخلاقها وثقافتها وحضارتها، كما أن من حق علمائها وأبنائها أن يتناولوا هذه الأقوال بالتحليل والنقد، وأن يردوا على المتعسفين بالأدلة المنطقية، والحجج الواضحة، والبراهين القوية.

وقد عنيت الأمة الإسلامية عنايةً فائقةً بالقرآنِ الكريم منذ نزوله على نبينا محمدٍ صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، ولم يدع العلماء ناحيةً من نواحي القرآنِ الكريم الخصبة إلا وألفوا فيها المؤلفات القيمة، فمنهم من ألف في نزول القرآن، ومنهم من ألف في إعجازه، ومنهم من ألف في إعرابه، ومنهم من ألف في تفسيره، ويتمالكك العجب حين ترى الكم الهائل من كتب التفسير – وهم يتبارَون في تفسيره – فمنهم من يهتم بإبرازِ الجانب اللغوي، ومنهم من يهتم بإبرازِ الجانب البلاغي، ومنهم من يهتم بإبرازِ الجانب البياني، ومنهم من يهتم بإبرازِ الجانب الفقهي، ومنهم من يهتم بإبرازِ الجانبِ الإعجازي.

وحكومة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود سباقةٌ إلى الخير، فهي تحرص على المشاركة والحضور في جميع الأوجه

---

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري 443/5.

(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري 85/9.

والنشاطات التي تخدم الكتاب والسنة خاصةً فيما يتعلق بالعناية بالقرآنِ الكريم والاهتمام به، وجهود مجمع الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله لطباعة المصحف الشريف في خدمةِ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والدفاع عنهما جهودٌ مباركة لا تخفى على أحد، وقد أحسنت وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية، بإقامة هذه الندوة (القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية)، وكانت مشاركتي في هذه الندوة في موضوع ((مصدر القرآن)).

خطة البحث

يتكونُ البحث من مقدمة و ثلاثة فصولٍ وخاتمة.

مقدمة: وأبين فيها أهمية الموضوع.

الفصل الأول: تعريف القرآنِ في اللغة والاصطلاح.

الفصل الثاني: عن مصدر القرآنِ الكريم **وفيه ثلاثة مباحث**:

المبحث الأول: المنَزِّل وهو المولى جل وعلا عن طريق جبريل عليه السلام.

المبحث الثاني: عن طريق محمد صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثالث: عن الصحابة، ووصوله إلينا عن طريق التواتر.

الفصل الثالث: شبهات المستشرقين حول مصدر القرآن **وفيه مبحثان**:

المبحث الأول: الاستشراق في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: دحض ونقد أهم شبهات المستشرقين حول مصدر القرآن.

الشبهة الأولى: بشرية القرآن.

الشبهة الثانية: أن مصدر القرآن هو الديانات الأخرى.

الشبهة الثالثة: أن مصدر القرآن الحنيفية ورجالها قبل البعثة المحمدية.

الشبهة الرابعة: الحالة التي كانت تعتري النبي صلى الله عليه وسلم حالة صرع.

الشبهة الخامسة: أن القرآن لم ينقل عن طريق التواتر بل عن طريق الآحاد.

الشبهة السادسة: أن القرآن حُرِّف وبُدِّل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

خاتمة: وتتضمن أهم النتائجِ التي توصلتُ إليها.

الفصل الأول
تعريف القرآنِ في اللغة والاصطلاح.

اختلف العلماء في كلمة القرآن في اللغة من جهة الاشتقاق أو عدمه، ومن جهة كونه مهموزاً أو غير مهموز، ومن جهة كونه مصدراً أو وصفاً على أقوال، فمنهم من قال بأنه مهموز وقد اختلفوا على رأيين:-

الأول: القرآن مصدر قرأ بمعنى تلا كالرجحان والغفران ثم نقل من هذا المعنى المصدري، وجعل اسماً للكلام المنَزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من باب تسمية المفعول بالمصدر، ويشهد لهذا الرأي ورود القرآن مصدراً بمعنى القراءة في الكتاب الكريم، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ * فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ** ﴾ [القيامة: ١٧ - ١٨] أي قراءته.

الثاني: أنه على وصف فُعلان مشتق من القرء بمعنى الجمع، يقال في اللغة: قرأت الماء في الحوض أي جمعته، ثم سمي به الكلام المنَزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لجمع السور والآيات فيه، أو القصص والأوامر والنواهي، أو لجمعه ثمرات الكتب السابقة، وهو على هذين الرأيين مهموز، فإذا تركت الهمزة فذلك للتخفيف.

ومنهم من قال بأنه غير مهموز، وقد اختلفوا في أصل اشتقاقه فقال قوم: هو مشتق من قرنت الشيء بالشيء: إذا ضممت أحدهما إلى الآخر، وسمي به القرآن لقران السور والآيات والحروف فيه.

وقال الفراء[1]: هو مشتق من القرائن؛ لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضاً، ويشابه بعضها بعضاً، وهي قرائن أي أشباه ونظائر، وعلى هذين القولين فنونه أصلية، بخلافه على القولين الأولين فنونه زائدة.

وهناك رأي خامس مقابل للأقوال السابقة وهو أنه اسم علم غير منقول وضع من أول الأمر علماً على الكلام المنَزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وهو غير مهموز، وهذا القول مروي عن الإمام الشافعي [2].

أما القرآن الكريم في الاصطلاح فالمراد منه: ((كلام الله، منه بدأ -بلا كيفية- قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدَّقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر))[3].

ومن أهم خصائص القرآن الكريم أنه كلام الله، وأنه منَزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ومتعبد بتلاوته، ومعجز بلفظه، فهو كلام الله.

ومن عظمة القرآن الكريم روعة ألفاظه والتناسب والتناسق والترتيب في آياته.

وهو متعبد بتلاوته، وهذا التعبد إنما ورد في خصوص القرآن وألفاظه دون أيِّ ألفاظ أو أساليب أخرى، ولو كانت عربية مرادفة لألفاظ الأصل وأساليبه.

---

(1) يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، أبو زكريا المعروف بالفراء، إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، توفي سنة 207 هـ، الأعلام 145/8، اللباب 414/2.

(2) انظر: هذه الأقوال في كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن 1/ 14-15 وكتاب المدخل لدراسة القرآن، للدكتور محمد محمد أبو شهبة ص 17 – 19.

(3) شرح العقيدة الطحاوية 168.

وهو معجز بلفظه ومعناه، فلا تجوز قراءة القرآنِ بالمعنى، ولما أنزل على محمدٍ صلى الله عليه وسلم تحدى الله به العرب . وكانوا أفصح الفصحاء ومصاقع الخطباء . على أن يأتوا بمثله، وأمهلهم طول السنين فلم يقدروا، كما قال تعالى: ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ [الطور: ٣٤]، ثم تحداهم بعشر سور منه في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [هود: ١٣]، ثم تحداهم بسورة منه في قوله: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣] فلما عجزوا عن معارضته والإتيان بسورة تشبهه على كثرة الخطباء فيهم والبلغاء نادى عليهم بإظهار العجز وإعجاز القرآن فقال: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]، فلو كان في مقدرتهم معارضته لعدلوا إليها قطعاً للحجة، ويكفينا شهادة العرب الفصحاء قديماً بإعجازه فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الوليد بن المغيرة(1) جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال له: يا عم، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً، قال: لِمَ ؟ قال: ليعطوكه، فإنك أتيت محمداً لتتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ من قومك أنك

(1) الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم أبو عبد شمس، من قضاة العرب في الجاهلية ومن زعماء قريش ومن زنادقتها توفي سنة 1 هـ، الكامل 26/2، الأعلام 122/8.

منكر له وكاره، قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل ألم بالشعر مني، لا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته، قال: والله ما يرضى قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر، يأثره عن غيره، فنزلت: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾[1]. [المدثر: 11].

---

(1) أخرجه الحاكم، كتاب التفسير، باب تفسير سورة المدثر 506/2، وقال عقبه: هذا حديثٌ صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه.

الفصل الثاني
عن مصدر القرآنِ الكريم وفيه ثلاثة مباحث

تمهيد:

يعتقدُ المسلمُ تمامَ الاعتقاد بصحة القرآن الكريم وصحةِ مصدره، فهو موحًى من عند الله تعالى بواسطة أمين الوحي جبريل على نبينا محمدٍ صلى الله عليه وسلم، فألفاظ القرآنِ تدل على صحة المصدر، فهو في أعلى درجات البيان العربي من حيث ألفاظه وعباراته وبلاغته وفصاحته ونَظْمُه وفواصلُ كَلِمِه؛ مما يدل دلالةً قاطعة على عجز البشر عن الإتيان بمثل هذا الأسلوب الذي يدل على أنه موحًى به من عند الله تعالى، وقد قال منزله عَزَّ من قائل: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]، وكل وجه من وجوه البيان والأسلوب يدلُّ على أن مصدر القرآنِ من عند الله تعالى، وما كان في استطاعة أحدٍ أن يأتي بمثله، وأذكر بعض أقوال العلماء الذين قاموا بتوجيه الأنظار إلى نواحي الأسلوب البياني في القرآنِ الكريم الذي يدل على أنه لا يمكن أن يكون من تأليف بشر: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣ -٤]، ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢] فقال القاضي أبو بكر الباقلاني [1]: ((إن القرآن بديع النظم عجيب التأليف متناه في البلاغة إلى الحد الذي يُعلم عجز

---

(1) هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر أبو بكر، قاض، من كبار علماء الكلام، من كتبه إعجاز القرآن، توفي سنة 403 هـ انظر الأعلام 176/6.

الخلق عنه، والذي يشتمل عليه بديع نظمه المتضمن للإعجاز وجوه، منها: ما يرجع إلى الجملة، وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه واختلاف مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد، وذلك أن الطرق التي يتقيد بها الكلام البديع المنظوم تنقسم إلى أعاريض الشعر على اختلاف أنواعه، ثم إلى أنواع الكلام الموزون غير المقفى، ثم إلى أصناف الكلام المعدل المسجع، ثم إلى معدل موزون غير مسجع، ثم إلى ما يرسل إرسالاً، فتطلب منه الإصابة والإفادة وإفهام المعاني المعترضة على وجه بديع وترتيب لطيف)). إلى أن قال: ((إن عجيب نظمه وبديع تأليفه يتفاوت ولا يتباين على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها من ذكر قصص ومواعظ واحتجاج، وإعذار وإنذار، ووعد ووعيد، وتبشير وتخويف وأوصاف، وتعليم أخلاق كريمة، وشيم رفيعة، وسير مأثورة وغير ذلك من الوجوه التي يشتمل عليها)). ثم قال: ((وقد تأملنا نظم القرآن فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه التي قدمنا ذكرها على حدٍّ واحدٍ في حسن النظم وبديع التأليف والرصف، لا تفاوت فيه ولا انحطاط عن المنْزلة العليا، ولا إسفاف فيه إلى الرتبة الدنيا، وكذلك قد تأملنا ما يتصرف إليه وجوه الخطاب من الآيات الطويلة والقصيرة، فرأينا الإعجاز في جميعها على حدٍّ واحد لا يختلف، وكذلك قد يتفاوت كلام الناس عند إعادة ذكر القصة الواحدة تفاوتاً بيناً ويختلف اختلافاً كبيراً، ونظرنا القرآن فيما ذكره من القصة الواحدة فرأيناه غير مختلف ولا متفاوت، بل هو على نهاية البلاغة وغاية البراعة، فعلمنا بذلك أنه مما لا يقدر

عليه البشر؛ لأن الذي يقدرون عليه قد بينا فيه التفاوت الكثير عند التكرار وعند تباين الوجوه واختلاف الأسباب)) [1].

وقال الزركشي [2]رحمه الله: ((هو الكلام الجزل، وهو الفصل الذي ليس بالهزل، سراج لا يخبو ضياؤه، وشهاب لا يَخمد نوره وسناؤه، وبحر لا يُدرك غوره، بهرت بلاغته العقول، وظهرت فصاحته على كل مقول، وتظافر إيجازه وإعجازه... قد أحكم الحكيم صيغته ومبناه، وقسَّم لفظه ومعناه إلى ما ينشط السامع ويقرِّط المسامع، من تجنيس أنيس، وتطبيق لبيق، وتشبيه نبيه، وتقسيم وسيم، وتفصيل أصيل، وتبليغ بليغ، وتصدير بالحسن جدير، وترديد ماله مزيد؛ إلى غير ذلك مما احتوى من الصياغة البديعة، والصناعة الرفيعة، فالآذان بأقراطه[3]حالية، والأذهان من أسماطه[4] غير خالية، فهو من تناسب ألفاظه، وتناسق أغراضه، قلادة ذات اتساق، ومن تبسم زهره، وتنسم نشره، حديقة مبهجة للنفوس والأسماع والأحداق، كل كلمة منه لها من نفسها طرب، ومن ذاتها عجب، ومن طلعتها غرة، ومن بهجتها درة)) إلى أن قال: ((فله على كل كلام سلطان وإمرة، بَهَرَ تَمَكُّنُ فواصله، وحُسْنُ ارتباط أواخره وأوائله، وبديع

---

(1) إعجاز القرآن للباقلاني 36 . 38.

(2) محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله بدر الدين، عالم بفقه الشافعية والأصول والحديث والتفسير، أحد العلماء الأثبات، له تصانيف كثيرة، توفي سنة 794 هـ الأعلام 6/ 60.

(3) أقراط جمع قُرط، والقُرط هو ما يُعلق في شَحمةِ الأذنِ من دُرٍّ أو ذهبٍ أو فضة أو نحوها، انظر المعجم الوسيط 727/2.

(4) الأسماط جمع سمط، والسمطُ هو الخيطُ ما دام فيه الخَرَز وإلا فهو سلك، والسمطُ خيط النظم لأنه يعلق، وقيل هي قِلادةٌ أطول من المِخنقة، قال أبو الهيثم: السمطُ الخيط الواحد المنظوم، لسان العرب 14/7.

إشاراته، وعجيب انتقالاته، من قصص باهرة إلى مواعظ زاجرة، وأمثال سائرة، وحكم زاهرة، وأدلة على التوحيد ظاهرة))[1].

وقد اعتاد المستشرقون الطعن في القرآنِ الكريمِ بشتى الطرق، فقد حددوا مصادرَ القرآنِ في مزاعمهم حسب الأولوية:

1. الأساس اليهودي ثم النصراني يمثل المصدر الأول للقرآن.
2. المصدر الثاني هو الأساس الجاهلي، وإليه يرجع ما ذكر في القرآنِ من تقديس الكعبة وقصص عاد وثمود.
3. وأخيراً يأتي المصدر الإسلامي الصرف وهو الأفكار الجديدة التي أضافتها عبقرية محمد الدينية [2].

وسيتبين من المباحث الثلاثة الآتية عدم صحة أقوالهم من خلال نصوص الكتاب والسنة.

---

(1) البرهان في علوم القرآن 1/3-5.

(2) الاستشراق، سيد فرَج ص 135، المستشرقون والقرآن، إبراهيم عوض ص 121.

المبحث الأول: المنَزِّل وهو المولى جل وعلاعن طريق جبريل عليه السلام:

فالقرآن الكريم كلام الله تعالى أوحاه إلى النبي صلى الله عليه وسلم كما قال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ * صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴾ [الشورى: ٥٢ - ٥٣] فأمرُ الوحي أمرٌ عظيم عند الله تعالى، فيختار سبحانه من عباده من خِيرتهم للأمر الذي يريد كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾ [الحج: ٧٥] وقال: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ [النحل: ٢]، والقرآن الكريم نزل به أمينُ الوحي جبريل على قلب النبيِّ صلى الله عليه وسلم.

والوحي في اللغة: تقول وحيت إليه، وأوحيت: إذا كلمته بما تخفيه عن غيره، وأصله الإشارة السريعة، وقد يكون على سبيل الرمز والتعريضِ، وقد يكون بصوت مجرد أو بإشارة بعض الجوارح، فيكون معناه اللغوي: الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى عن غيره(1).

---

(1) انظر المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 515.

وقال الأزهري[1] في قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧]: ((قيل: الوحي هنا إلقاء الله في قلبها... وكذلك الإشارة والإيماء يسمى وحياً، والكتابة تسمى وحياً. وقال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٥١]، ومعناه: إلا أن يوحي الله إليه وحياً فيعلمه بما يعلم البشر أنه أعلمه إما إلهاماً وإما رؤيا، وإما أن ينَزل عليه كتاباً كما أنزل على موسى، أو قرآناً يتلى عليه كما أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وكل هذا إعلام وإن اختلفت أسباب الإعلام فيها))[2].

وفي الاصطلاح:

كلام الله تعالى المنزل على نبي من أنبيائه إما بكتاب أو برسالة ملك في منام أو إلهام[3].

وعرفه الإمام القَسطَلاني[4] بأنه: إعلام الله تعالى أنبياءه الشيءَ إما بكتابٍ أو برسالة ملك أو منام أو إلهام [5].

---

(1) محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي أبو منصور، أحد الأئمة في اللغة والأدب عني بالفقه فاشتهر به ثم غلب عليه التبحر في العربية، من كتبه تهذيب اللغة، توفي سنة 370 هـ، انظر الوفيات 501/1، والأعلام 5/ 311.

(2) تهذيب اللغة 297/5 (وحى).

(3) انظر مباحث في علوم القرآن 33.

(4) أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القَسطَلاَّني أبو العباس شهاب الدين، من علماء الحديث، من كتبه: إرشاد الساري شرح صحيح البخاري، وكتاب المواهب اللدنية في المنح المحمدية، توفي سنة 923 هـ، انظر: البدر الطالع 102/1، الأعلام 232/1.

(5) إرشاد الساري لشرح البخاري 48/1.

ولا يمكن معرفةُ الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بما نقله لنا الصحابة رضوان الله عليهم، فهم قد شاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم حال نزول الوحي عليه، ودلائل ثبوت الوحي الإلهي لمحمدٍ صلى الله عليه وسلم أكثر من أن تحصى:

الدليل الأول: عَن عَائِشَةَ أُمِّ المؤمِنِينَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالت: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلمَ مِن الوَحيِ الرُّؤيَا الصَّالحَةُ فِي النَّومِ، فَكَانَ لا يَرَى رُؤيَا إلا جَاءَت مِثل فَلقِ الصُّبحِ [1]، ثُمَّ حُبِّبَ إِليهِ الخَلاءُ وَكَانَ يَخلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ، وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبل أَن يَنْزِعَ إِلى أَهلهِ، وَيَتَزَوَّدُ لذَلكَ ثُمَّ يَرجِعُ إِلى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لمِثلهَا حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الملكُ فَقَال: اقرَأ، قَال: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَال: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلغَ مِنِّي الجَهدَ ثُمَّ أَرسَلنِي فَقَال: اقرَأ، قُلتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلغَ مِنِّي الجَهدَ، ثُمَّ أَرسَلنِي فَقَال: اقرَأ، فَقُلتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالثَةَ ثُمَّ أَرسَلنِي فَقَال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ * ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ [العلق: ١ – ٣] فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلمَ يَرجُفُ فُؤَادُهُ فَدَخَل عَلى خَدِيجَةَ بِنتِ خُوَيلدٍ رَضِيَ اللهُ عَنهَا فَقَال: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنهُ الرَّوعُ، فَقَال لخَدِيجَةَ وَأَخبَرَهَا الخَبَرَ لقَد خَشِيتُ عَلى نَفسِي، فَقَالت خَدِيجَةُ: كَلا وَاللهِ مَا يُخزِيكَ اللهُ أَبَدًا إِنَّكَ لتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحمِلُ الكَلَّ وَتَكسِبُ المعدُومَ وَتَقرِي الضَّيفَ وَتُعِينُ عَلى نَوَائِبِ الحَقِّ،

---

(1) أي: ضوئه وإنارته، والمعنى ظهرت مطابقتها للواقع كظهور ضياءِ الصبحِ لناظِرِه، انظر النهاية في غريب الحديث 471/3.

فَانطَلَقَت بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَت بِهِ وَرَقَةَ بنَ نَوفَل بنِ أَسَدِ بنِ عَبدِ العُزَّى ابنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امرأً قَد تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكتُبُ الكِتَابَ العِبرَانِيَّ، فَيَكتُبُ مِن الإِنجِيل بِالعِبرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَن يَكتُبَ، وَكَانَ شَيخًا كَبِيرًا قَد عَمِيَ، فَقَالت لهُ خَدِيجَةُ: يَا ابنَ عَمِّ اسمَع مِن ابنِ أَخِيكَ، فَقَال لهُ وَرَقَةُ: يَا ابنَ أَخِي مَاذَا تَرَى، فَأَخبَرَهُ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلمَ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَال لهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الذِي نَزَّل اللهُ عَلى مُوسَى، يَا ليتَنِي فِيهَا جَذَعًا ليتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذ يُخرِجُكَ قَومُكَ، فَقَال رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلمَ: أَوَمُخرِجِيَّ هُم؟ قَال: نَعَم، لم يَأتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثل مَا جِئتَ بِهِ إِلا عُودِيَ، وَإِن يُدرِكنِي يَومُكَ أَنصُركَ نَصرًا مُؤَزَّرًا ثُمَّ لم يَنشَب وَرَقَةُ أَن تُوُفِّيَ وَفَترَ الوَحيُ [1].

قَال جَابِرُ بنُ عَبدِ اللهِ الأَنصَارِيُّ رضي الله عنهما - وَهُوَ يُحَدِّثُ عَن فَترَةِ الوَحيِ — فقال في حديثه: بَينَا أَنَا أَمشِي إِذ سَمِعتُ صَوتًا مِن السَّمَاءِ فَرَفَعتُ بَصَرِي فَإِذَا المَلكُ الذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالسٌ عَلى كُرسِيٍّ بَينَ السَّمَاءِ وَالأَرضِ فَرُعِبتُ مِنهُ فَرَجَعتُ فَقُلتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَأَنزَل اللهُ تَعَالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ * قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ إِلى قَولِهِ: ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ فَحَمِيَ الوَحيُ [2].

وهذا اللقاء الذي تم بين محمدٍ صلى الله عليه وسلم وبين ورقة بعد أن بلغ من الكبرِ عِتِيًّا، وهنا ندقق النظر ونسأل: لمَ قال ورقة: «هَذَا النَّامُوسُ الذِي نَزَّل

(1) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحي ص1، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم 127/1.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحي ص1، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم 127/1.

اللهُ عَلى مُوسَى)) ولم يقل على عيسى، علماً بأن ورقة نفسه يقيم على شيءٍ من النصرانية ؟

ذهب ابنُ حجر العسقلاني إلى أن ورقة أعلن بهذا أن الملكَ الذي لقيه محمدٌ صلى الله عليه وسلم في غار حراء هو ملك الوحي الذي أجمع أهل الديانتين (اليهودية والنصرانية) على الإيمانِ بنُزوله إلى موسى، ولم يقل ورقة (إنه الذي نزل على عيسى)؛ لأن اليهود ينكرون نبوة عيسى وصلته بوحي الله [(1)].

الدليل الثاني: عَن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي قَولِهِ تَعَالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾ قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلمَ يُعَالِجُ مِن التَّنْزِيل شِدَّةً، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيهِ، فقَال ابنُ عَبَّاسٍ: فَأَنَا أُحَرِّكُهُمَا لكُم كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلمَ يُحَرِّكُهُمَا، وَقَال سَعِيدٌ: أَنَا أُحَرِّكُهُمَا كَمَا رَأَيتُ ابنَ عَبَّاسٍ يُحَرِّكُهُمَا فَحَرَّكَ شَفَتَيهِ، فَأَنزَل اللهُ تَعَالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ قَال: جَمعُهُ لكَ فِي صَدرِكَ وَتَقرَأَهُ ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ قَال: فَاستَمِع لهُ وَأَنصِت، ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلينَا أَن تَقرَأَهُ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلمَ بَعدَ ذَلكَ إِذَا أَتَاهُ جِبرِيلُ استَمَعَ، فَإِذَا انطَلَقَ جِبرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلمَ كَمَا قَرَأَهُ [(2)]، وهذا يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحرك شفتيه أثناء تلقي الوحي حرصاً على الدقةِ في استحفاظ القرآنِ الكريم.

---

(1) فتح الباري لابن حجر 20/1، وانظر وحي الله ص 90.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الاستماع إلى القراءة 277/1.

الدليل الثالث: عَن عَبدِ الرَّحمَنِ بنِ عَبدٍ القَارِيِّ قَال: سَمِعتُ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ رَضِيَ الله عَنهُ يَقُولُ: كَانَ النَّبِيُّ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلمَ إِذَا أُنزِل عَليهِ الوَحيُ سُمِعَ عِندَ وَجهِهِ كَدَوِيِّ النَّحل[1]، فَأُنزِل عَليهِ يَومًا فَمَكَثنَا سَاعَةً فَسُرِّيَ عَنهُ فَاستَقبَل القِبلَةَ وَرَفَعَ يَدَيهِ وَقَال: ((اللهُمَّ زِدنَا وَلا تَنقُصنَا وَأَكرِمنَا وَلا تُهِنَّا وَأَعطِنَا وَلا تَحرِمنَا وَآثِرنَا وَلا تُؤثِر عَلينَا وَأَرضِنَا وَارضَ عَنَّا)). ثُمَّ قَال صَلى الله عَليهِ وَسَلمَ: ((أُنزِل عَليَّ عَشرُ آيَاتٍ مَن أَقَامَهُنَّ دَخَل الجَنَّةَ)) ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ حَتَّى خَتَمَ عَشرَ آيَاتٍ [2].

الدليل الرابع: عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ((إن كان ليوحَى إليه وهو على ناقته فتضربُ جِرانها[3] من ثِقَل ما يوحَى إليه)) [4].

الدليل الخامس: عَن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلى الله عَليهِ وَسَلمَ قَال: يَا جِبرِيلُ مَا يَمنَعُكَ أَن تَزُورَنَا أَكثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا؟ فَنَزَلت: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ﴾ [مريم: 64] إِلى آخِرِ الآيَةِ، قَال: كَانَ هَذَا الجَوَاب لِمحَمَّدٍ صَلى الله عَليهِ وَسَلمَ [5].

وهذه الآيات والأحاديث السابقة تبين وتؤكد بيقين حقيقة الوحي، وأن القرآن نزل على النبي صلى الله عليه وسلم وحياً عن طريق جبريل عليه السلام

---

(1) الدَّوِيُّ: صوتٌ ليس بالعالي كصوت النحل ونحوه، النهاية في غريب الحديث 143/2.

(2) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن تفسير سورة المؤمنون 326/5، وضعفه الألباني. انظر ضعيف سنن الترمذي ص 338، 339.

(3) الجران: باطن العنق وجمعه جُرُن، والمعنى: من شدة الوحي وثقله كان البعير يمد جِرانه على الأرض ليستريح، انظر غريب الحديث لابن الجوزي 152/1.

(4) أخرجه أحمد في المسند 118/6.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب سورة كهيعص ص 997.

كما قال تعالى: ﴿ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ * وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ * إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ * إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴾ [النحل: ١٠٢ - ١٠٥]، وكما قال: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ﴾ [الشورى: ٥١].

فهذه الآيات يثق المؤمن فيها وهي تتضمن القول الفصل في مصدر القرآنِ الكريم.

وفي هذا يقول الأستاذ محمد رشيد رضا[1]: ((إن القرآنَ كتاب لا كالكتب، هو آيةٌ لا كالآيات، هو معجزةٌ لا كالمعجزات، هو نورٌ لا كالأنوار، هو سرٌ لا كالأسرار، هو كلامٌ لا كالكلام، هوكلام الحي القيوم الذي ليس لروح القدس جبريل الأمين منه إلا نقله بلفظه العربي من سماء الأفق الأعلى إلى هذه الأرض، ولا لمحمدٍ رسول الله وخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم منه إلا تبليغه للناس بلفظه ونظمه وهدايته وتأثيره)) [2].

(1) محمد بن رشيد بن علي رضا القلموني، البغدادي الأصل، صاحب مجلة المنار وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، من الكتاب العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، توفي سنة 1354هـ، انظر الأعلام 126/6.

(2) الوحي المحمدي محمد رشيد رضا 164.

وقد ذهب العلماء في كيفية وحي الله تعالى إلى جبريل المذاهب الآتية [1]:

المذهب الأول: أن جبريل عليه السلام تلقاه سماعاً من الله عز وجل، وهو مذهب أهل السنة والجماعة، وفي حَدِيث النَّوَّاس بن سَمْعَان عِندَ الطَّبَرَانِيِّ مَرفُوعًا ما يؤكد ذلك: ((إِذَا تَكَلمَ الله بِالوَحيِ أَخَذَت السَّمَاء رَجفَة أو قال: رعدة شَدِيدَة مِن خَوف الله , فَإِذَا سَمِعَ أَهلُ السَّمَاء بِذَلكَ صُعِقُوا وَخَرُّوا سُجَّدًا , فَيَكُون أَوَّل من يَرفَع رَأسَه جِبرِيل , فَيُكَلمُهُ الله مِن وَحيِهِ بِمَا أَرَادَ , فَيَنتَهِي بِهِ عَلى المَلائِكَة , كُلمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلهُ أَهله مَاذَا قَال رَبُّنَا ؟ قَال: الحَقّ , فَيَنتَهِي بِهِ حَيثُ أُمِرَ)) [2]، وقال النَّبِيُّ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلمَ: ((إِذَا قَضَى اللهُ الأَمرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَت المَلائِكَةُ بِأَجنِحَتِهَا خُضعَانًا لقَولهِ كَالسِّلسِلةِ عَلى صَفوَانٍ)) [3]، قال الإمام أحمد: - فيما رواه ابنه صالح عنه - ((افترقت الجهمية على ثلاث فِرَق، فِرقة قالوا: القرآنُ مخلوق، وفِرقة قالوا: كلام الله وتسكت، وفِرقة قالوا: لفظنا بالقرآنِ مخلوق، قال الله عز وجل: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، فجبريل سمعه من الله، وسمعه النبي من جبريل، وسمعه أصحاب النبي من النبي، فالقرآنُ كلام الله غير مخلوق)) [4]، قال الزرقاني [5]: ((ولتعلم في هذا المقام أن الذي نزل به جبريل على النبي صلى

---

(1) انظر هذه الأقوال في مناهل العرفان 1/ 47. 48، مباحث في علوم القرآن ص 35 وما بعده.

(2) ذكره ابن حجر في فتح الباري 457/13 . 459.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، تفسيرة سورة الحجر باب قوله (إلا من استرق السمع) ص 983، 984.

(4) العقيدة السلفية في كلام رب البرية للجديع 35.

(5) محمد عبد العظيم الزُرقاني، من علماء الأزهر بمصر، تخرج في كلية أصول الدين، وعمل بها مدرساً لعلوم القرآن والحديث، من كتبه مناهل العرفان في علوم القرآن، توفي سنة 1367 هـ، انظر الأعلام 210/6.

الله عليه وسلم هو القرآن باعتبار أنه الألفاظ الحقيقية المعجزة من أول الفاتحة إلى آخِر الناس، وتلك الألفاظُ هي كلام الله وحده لا دخل لجبريل ولا لمحمد في إنشائها وترتيبها، بل الذي رتبها أولاً هو الله سبحانه وتعالى، ولذلك تُنسب له دون سواه وإن نطق بها جبريل، ومحمد، وملايين الخلق من بعد جبريل ومحمد من لدن نزول القرآن إلى يوم الساعة))[1].

المذهب الثاني: أن جبريل حفظه من اللوح المحفوظ، فإن الله تعالى يقول: ﴿ **بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ** ﴾ [البروج: ٢١ - ٢٢] وقال بذلك القسطلاني، ومن وافقه[2]، وهذا الرأي غير مُسَلَّم؛ لأن هذا من الإخبار بالمغيبات التي لا دليل قطعيًّا فيها.

المذهب الثالث: أنَّ معنى القرآن موحَى من عند الله تعالى، واللفظ إما لجبريل أو محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا قول باطلٌ أثيم مصادمٌ لصريح الكتاب والسنة، والإجماع[3]، وقد قال بذلك القول كثيرٌ من المستشرقين، وهو قولٌ ليس له دليل لا من نقل ولا من عقل، وممن اشتهر بهذا القول المستشرق جولدزيهر، وهذا أنسب بالسنة؛ لأنها وحيٌ من الله أوحي إلى جبريل ثم إلى محمد صلى الله عليه وسلم بالمعنى، وأياً ما تكن هذه الأقوال فإن هذا الموضوعَ لا يتعلق به غرض كبير ما دمنا نقطعُ بأن مرجع التنْزيل هو الله وحده [4].

المبحث الثاني: عن طريقِ محمد صلى الله عليه وسلم

---

(1) مناهل العرفان 1/ 48، 49.

(2) انظر لطائف الإشارات للقسطلاني 21/1، 22.

(3) مناهل العرفان 49/1.

(4) مناهل العرفان 58/1.

إن القرآنَ الكريم موحَى من عند الله تعالى منَزَّلٌ على النبي صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٤]، وكما قال تعالى: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ [النجم: ١ - ٥]، ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [النمل: ٦]، ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [النساء: ١٦٣]، وقد خص الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بمزيدِ فضل فقال: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣]، ووظيفة محمد هي التبليغ كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٧]، ومنصب النبوة منصب رفيع وعظيم يختص الله تعالى به من يشاء من عباده، كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الحج: ٧٥]، فالرسول محمد صلى الله عليه وسلم هو النبي المرسَلُ من عند الله تعالى لتبليغ الناس القرآن خاتمَ الكتبِ السماوية، وهذا هو الاعتقاد الموجود لدى المسلمين، فلذلك يتحدثون عن هذا النبي بإيجابية فهو الأساس والركنُ لقبول الدين الإسلامي واعتناقه، أما المستشرقون فإنهم غالباً يتحدثون عن النبي صلى الله عليه وسلم

بسلبية واضحة ويبينون للناس بأنه أسطورة وأنه رجلٌ مبتدعٌ كذابٌ مخادع، ولا صحة لدعوته ونبوته عليه السلام وأن القرآنَ لم ينْزل عليه، فهم بهذا يردون الناس عن دينهم إن استطاعوا، ولكي يكونوا حجر عثرة في طريق من يبحث عن الحق ودين الحق(1)والله تعالى يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١]، وقد قال عليه الصلاة والسلام: ((مَا مِن الأَنبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلا أُعطِيَ مَا مِثلهُ آمَنَ عَليهِ البَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الذِي أُوتِيتُ وَحيًا أَوحَاهُ اللهُ إِليَّ فَأَرجُو أَن أَكُونَ أَكثَرَهُم تَابِعًا يَومَ القِيَامَةِ)) (2).

ومن الآيات السابقات نستفيد أن القرآنَ الكريم ليس من تأليف أو قول النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما هو قولُ رسولٍ كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين، مطاع ثم أمين، ذلكم هو جبريل الأمين نزل به على النبي صلى الله عليه وسلم من عند الله بلسانٍ عربي مبين، ولم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك أي عمل سوى الوعي والحفظ، ثم الحكاية والتبليغ، ثم البيان والتفسير، ثم التطبيق والتنفيذ، أما ابتكار معانيه وصياغة مبانيه فما هو منها بسبيل وليس له من أمرهما شيء، إن هو إلا وحي يوحى (3).

---

(1) الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر ص 44.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل ص 1084، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس 69/1 . 70.

(3) انظر: النبأ العظيم 12 . 13.

وقد سأل الحَارِثُ بنُ هِشَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فَقَال: يَا رَسُول اللهِ كَيفَ يَأتِيكَ الوَحيُ؟ فَقَال رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلمَ: ((أَحيَانًا يَأتِينِي مِثل صَلصَلةِ الجَرَسِ[1] وَهُوَ أَشَدُّهُ عَليَّ، فَيُفصَمُ عَنِّي[2] وَقَد وَعَيتُ عَنهُ مَا قَال، وَأَحيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي المَلكُ رَجُلاً فَيُكَلمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ)). قَالت عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنهَا: وَلقَد رَأَيتُهُ يَنْزِلُ عَليهِ الوَحيُ فِي اليَومِ الشَّدِيدِ البَردِ فَيَفصِمُ عَنهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ[3] عَرَقًا[4].

المبحث الثالث: عن الصحابة، ووصول القرآن إلينا عن طريق التواتر.

الصحابة رضوان الله عليهم هم خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في نشر القرآنِ والدعوة وإيصالها إلى الناس، فهم الذين حضروا مجالس التنْزيل وهم الذين نقلوا إلينا القرآنَ الكريم كما سمعوه من في النبي صلى الله عليه وسلم، وهم طبقات، وجميعهم عدول، وقد شهد الله تعالى لهم فقال: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم

---

(1) الصلصلة هو صوت الحديد إذا حرك، النهاية في غريب الحديث 46/3.

(2) ((يفصم عني وقد وعيت)) يعني الوحي، أي يقلع، وأفصم المطر إذا أقلع وانكشف، النهاية في غريب الحديث 452/3.

(3) تفصد عرَقا: أي سال عرقه عليه الصلاة والسلام، النهاية في غريب الحديث 450/3.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ص 1، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل باب عرق النبي صلى الله عليه وسلم في البرد وحين يأتيه الوحي 1449/4.

﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٠]، والصحابي كما قال الحافظ ابن حجر: ((هو من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به ومات على الإسلام)) [1]. والإسنادُ خصيصةٌ من الخصائصِ التي خص الله تعالى بها الأمةَ المحمدية، فلم تُعن الأمم السابقة بالإسناد مثل الأمة المحمدية، قال الإمام أبو محمد بن حزم [2]: ((نقل الثقة عن الثقة مع الاتصال حتى يبلغ النبيَّ صلى الله عليه وسلم، خَصَّ الله به المسلمين دون سائر أهل الملل كلها وأبقاه عندهم غضاً جديداً على قديم الدهور))[3]. وقال سفيان الثوري[4]: ((الإسناد سلاح المؤمن إذا لم يكن معه سلاحٌ فبأي شيءٍ يقاتل؟)) [5].

وقال ابن المبارك[6]: ((الإسناد من الدين، لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء))، وقال أيضاً: ((بيننا وبين القوم القوائم، يعني الإسناد))[7]. وميزة القرآن الكريم أنه يعتمد فيه على النقل والروايةِ والإسناد، ولا يسمحُ فيه بالرأي أو

---

(1) نزهة النظر ص 55.

(2) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد عالم الأندلس في عصره وأحد أئمة الإسلام، أشهر مصنفاته المحلى، والفصل في الملل والأهواء والنحل، توفي سنة 456 هـ، انظر الأعلام 254/4.

(3) الفصل في الملل والأهواء والنحل 82/2.

(4) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أمير المؤمنين في الحديث، ولد ونشأ في الكوفة، وكان سيد زمانه في علوم الدين والتقوى، توفي سنة 161 هـ، انظر: حلية الأولياء 356/6، الأعلام 104/3.

(5) مقدمة كتاب المجروحين لابن حبان ص 27.

(6) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظَلي التميمي المروزي شيخ الإسلام، صاحب التصانيف والرحلات، أفنى عمره في الأسفار حاجاً ومجاهداً وتاجراً، وجمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء، توفي سنة 181 هـ الأعلام 115/4.

(7) ذكره الإمام مسلم في مقدمة صحيحه 87/1-88، وانظر مقدمة كتاب المجروحين ص 26.

التفكير أو النظر أو الاجتهاد، والصحابةُ رضوانُ الله تعالى عليهم كانوا أمناءَ في نقل القرآنِ الكريم وفي ضبطِ ألفاظه وكلماته وحروفه كما سمعوه من النبيِّ صلى الله عليه وسلم وتلقوه مشافهةً فأوصلوه وقرؤوه ونقلوه إلى التابعين الذين نقلوه إلى الأجيال من بعدهم جيلاً بعد جيل، حتى وصل إلينا كما أنزل مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، فالقرآنُ مأخوذٌ بالتلقِّي والمشافهةِ والسماعِ منه صلى الله عليه وسلم حتى وصل إلينا متواتراً ولله الحمد، والتواتر هو: ما رواه جمعٌ عن جمعٍ يستحيل في العادة تواطؤهم على الكذب، فلا يتحقق التواتر إلا إذا كان هذا العدد في كل طبقةٍ من الطبقات بدءاً من أول السند إلى منتهاه، وهذا متحققٌ في قراءات الأئمة العشرة وهم (نافع بن أبي نعيم، وأبو جعفر يزيد بن القعقاع المدنيان، وعبد الله بن كثير المكي، وأبو عمرو بن العلاء، ويعقوب بن إسحاق البصريان، وعبد الله بن عامر الشامي، وعاصم بن أبي النجود، وحمزة بن حبيب الزيات، وعلي بن حمزة الكسائي، وخلف بن هشام البزار الكوفيون)(1).

ويؤكد هذا ما قاله الأئمةُ الأعلام، فقال الإمام القرطبي(2) رحمه الله: ((وقد أجمع المسلمون في جميعِ الأمصار على الاعتمادِ على ما صح عن هؤلاء الأئمةِ فيما رأوه ورووه من القراءات، وكتبوا في ذلك مصنفات، واستمر الإجماعُ على

(1) انظر القراءات في نظر المستشرقين والملحدين 91.

(2) محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي، من كبار المفسرين صالح متعبد من أهل قرطبة، من كتبه الجامع لأحكام القرآن، توفي سنة 671 هـ، انظر الأعلام 322/5.

الصواب، وحصل ما وعد الله به من حِفظ الكتاب)). وقال ابن عطية [1]: ((ومضت الأعصار والأمصار على قراءاتِ الأئمة السبعة بل العشرة، وبها يصلى؛ لأنها ثبتت بالإجماع)). وقال ابن الجزري [2]: ((فالذي وصل إلينا متواتراً وصحيحاً مقطوعاً به مجمعاً عليه غير منازع فيه متلقى بالقبول هو قراءةُ الأئمة العشرة ورواتهم المشهورين))[3].

---

(1) هو أبو محمد عبد الحق غالب بن عبد الملك بن عطية الغرناطي القرطبي، عَلم المفسرين، كان فقيهاً عارفاً بالأحكام والأحاديث والتفسير واللغة من أهم مؤلفاته المحرر الوجيز، توفي سنة 542 هـ، انظر طبقات المفسرين للداودي 260/1.

(2) محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف أبو الخير الشهير بابن الجزَري شيخ الإقراء في زمانه، ولد ونشأ في دمشق وابتنى فيها مدرسة سماها دار القرآن، من كتبه النشر في القراءات العشر، وغاية النهاية في طبقات القراء، توفي سنة 833 هـ، انظر الأعلام 450/7

(3) انظر هذه الأقوال في كتاب القراءات في نظر المستشرقين والملحدين لعبد الفتاح القاضي 93، 97.

الفصل الثالث

شبهات المستشرقين حول مصدر القرآن وفيه مبحثان

المبحث الأول: الاستشراق في اللغة والاصطلاح.

الاستشراق في اللغة: لفظة مولدة من استشرق المأخوذة من مادة شرق، واستعملها المحدثون ترجمة لكلمة (Orientalism) التي تدل على معنى الاستشراق، أما المحققون فيقولون: (علماء المشرقيات)، ولكن كلمة (مستشرقون) أكثر شيوعاً خاصة في الآونة الأخيرة [1].

وفي الاصطلاح: دراسة يقوم بها الغربيون لتراث الشرق وحضارته، وبخاصة كل ما يتعلق بتاريخه ولغاته وآدابه وفنونه وعلومه وتقاليده وعاداته واتجاهاته النفسية وحالاته الاجتماعية [2]. وهناك تعريف أعم من التعريف السابق وهو: اشتغال غير المسلمين بعلوم المسلمين بغض النظر عن وجهة المشتغل الجغرافية وانتماءاته الدينية والثقافية والفكرية [3]. أو يكون أعم مما سبق فيطلق الاستشراق على: عناية الغرب بدراسة آداب وثقافة أقطار الشرق، كالصين، والهند وفارس، واليابان، والعالم العربي والإسلامي، وغيرها، وفي مجال الاستشراق برع عددٌ من الأوربيين فسموا بالمستشرقين [4]، وكانت فرنسا وبريطانيا هما المسيطرتان على الشرق، ومن بعدهما جاء دور الأمريكان.

---

(1) الاستشراق نشأته وتطوره وأهدافه، إسحاق محمد الحسيني 1.

(2) المستشرقون والدراسات القرآنية ص 11.

(3) الاستشراق والدراسات الإسلامية ص 124.

(4) آربري، المستشرقون البريطانيون ص 8.

المبحث الثاني: دحضُ ونقدُ أهمِّ شبهاتِ المستشرقين حول مصدر القرآن الكريم [1].

يعتزُ المسلم بالقرآنِ لأنه يعتقدُ أنه كلام الله تعالى فيرتبط به ارتباطاً وثيقاً ويلتمسُ منه الطريق للتفقه في دين الله تعالى عقدياً ولغوياً وثقافياً وفقهياً وتفسيرياً، وفصل المسلم عن القرآنِ يؤدي إلى فصله عن أصول العقيدة وعن معرفة الدين والمنهاجِ السليم للسلوك الإسلامي الصحيح وهذا هو الذي يريده المستشرقون ومن نحا نحوهم، والقرآن الكريم هو المصدر الأول والأساس في شريعة الإسلام، وقد اعتاد المنصِّرون والمستشرقون الطعن في القرآنِ بأسلوب أو بآخر، ولا يخفى على المسلم أن عملهم لا يُعَدُّ نقداً، أو التعبير برأيٍ آخر كما يرددون من أنه حريةٌ في البحث، بل هو صادرٌ عن حِقدٍ وكراهية للإسلام والقرآن، وأحياناً عن عصبية شديدة، والتعصب يعمي ويصم ويَقلب الحقَّ باطلاً والباطل حقاً، وغرضهم الرئيس من ذلك هو التشكيكُ في القرآنِ الكريم وقَداستِه كي يتوصلوا إلى صرف أنظار المسلمين عن القرآنِ الكريم، وهذه الطعونُ مبنيةٌ على رواياتٍ باطلة أو مختلقة أو آراءَ شاذة وأدلةٍ واهية، أو على مقالاتٍ لبعض الباحثين، أو على بعضِ الروايات الصحيحة أو المقبولة التي قاموا

(1) انظر هذه الشبهات بالتفصيل في كتاب ((آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره)) إعداد الدكتور عمر بن إبراهيم رضوان، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وكتاب ((دعوى المستشرقين أن القرآن من صنع البشر))، رسالة أعدها الباحث أحمد شرف الدين للحصول على درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وقد استفدت كثيراً من الرسالتين العلميتين، وأشكر عمادة شؤون المكتبات بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، وعميدها الدكتور مساعد الطيار على جهودهم في مساعدة الباحثين، وانظر كذلك كتاب ((مناهل العرفان في علوم القرآن)) للزرقاني، وكتاب ((المدخل لدراسة القرآن الكريم)) للدكتور محمد محمد أبو شهبة ص 287.

بفهمها كما يحلو لهم من وجهة نظرهم، والشبه كثيرة، وأتناول في هذا البحث أهمها:

الشبهة الأولى: بشرية القرآن:

ذهب بعض المستشرقين إلى أن مصدر القرآنِ هو محمد، فهو قرآنُ محمد أو كتابُ محمد، وألفه محمدٌ صلى الله عليه وسلم بلغته، ولذلك كان يغير في القرآنِ الكريم ويبدل حسب هواه، وكذلك الصحابة كانوا يغيرون في القرآن الكريم ويبدلون فيه بما يتفقُ مع السياق والمقام؛ مما يدل دلالةً أكيدة على أن «القرآنَ ليس من عند الله تعالى» [1]، بل هو من عند محمدٍ صلى الله عليه وسلم كما قال المستشرق هـ. ج ويلز: «محمد هو الذي صنع القرآن» [2]، وكما قال يوليوس فلهاوزن: «القرآنُ من عند محمدٍ من تأليفه» [3].

وهم بهذا القول ينفُون إلهية النَّصِّ القرآني، وأنه كلامُ الله عز وجل، وينفُون النبوة، ويهدمون كل أركان الإسلام، ويشككون المسلمين في عقيدتهم، ويقولون ببشرية القرآن، وهذه فريةٌ قديمة قال بها زعماء الشرك والكفر بمكة، فقالوا بأنه قول رجلٍ به جِنة، وقالوا بأنه أساطير الأولين، فمَنطِقُ القدماء هو مَنطِقُ المحدثين، والكفر ملةٌ واحدة، فهم يريدون التشكيك في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يجدوا طريقاً ولا وسيلة إلا هذا الطريق وتلك الوسيلة القديمة.

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية 244/4.

(2) معالم تاريخ الإنسانية للمستشرق هـ ج ويلز 626/3.

(3) انظر تاريخ الدولة العبرية ص 8، وغوستاف لوبون في حضارة العرب ص 111.

على أن هنالك بعض المستشرقين الذين أعجبوا بالقرآنِ الكريم، ولكنهم نسبوه إلى محمد فقال سيل [1]: ((من المعترفِ به أن لغةَ محمدٍ صلى الله عليه وسلم قد بلغت الغايةَ في الروعةِ والنقاء، وقد استند محمدٌ إلى إعجاز الكتاب لإثبات حقيقة بعثته، وأعلن تحديه لأعظم الرجال وأكثرهم فصاحة)). وقال أيضاً: ((ولا شك أن أسلوب القرآنِ مذهل فهو جميل مشرق، وهو مُفعَمٌ بذوقٍ شرقي فضلاً عن أنه ممتلئٌ بالتعبيرات الهادية المنمَّقة التي تنطقُ بالحِكمة، كما أن المواضع التي تذكر عظمةَ الله وصفاته هي الذروة فيما قدم الأسلوب القرآني من فنون البيان))[2]. وقال هيرتشفلد[3]: ((إن هذا الدين الذي أحدث الثورة الكبرى لم يقم على مجرد الخيال))[4].

ونرد على ذلك بالنصوص القرآنية التي تُثبتُ بما لا يدعُ مجالاً للشك أن القرآنَ لم يُبدل فيه النبي صلى الله عليه وسلم ولم يغير فقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا

(1) سيل، مستشرق إنجليزي كان محامياً فداوم على دراسة العربية ووضع أشهر ترجمةٍ لمعاني القرآنِ الكريم، انظر: المستشرقون نجيب العقيقي 47/2.

(2) انظر: الاستشراق والقرآن العظيم د. محمد خليفة ص 59، 60.

(3) مستشرق يهودي، من آثاره الإسلام واليهودية، وبحوث جديدة في ترتيب القرآن وتفسيره، انظر: المستشرقون نجيب العقيقي 401/2.

(4) انظر: دعوى المستشرقين أن القرآن من صنع البشر 143.

مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٤ – ٤٦]، وهذا يدل دلالة قاطعة على أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم لا يستطيعُ أن يبدل في القرآنِ الكريم ولا أن يغيرَ كلمةً بأخرى أو حرفاً بآخر؛ لأنه وحيٌ أوحاه الله إليه، وبالتالي لا يستطيعُ الصحابة أو التابعون أو غيرهم أن يفعلوا ذلك، لأنهم على اعتقادٍ راسخ بأن القرآنَ الكريم وحيٌ أوحاه الله تعالى إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم لا دخل للبشرِ فيه، ولا يحق لهم أن يزيدوا فيه أو ينقصوا منه بوجهٍ من الوجوه، ثم إنه لو كان القرآنُ من صنع البشر لاستجاب العرب للتحدي القائم في قوله سبحانه: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣–٢٤] وقوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ [الطور: ٣٣ – ٣٤].

يقول الرافعي [1]: «وحِكمة هذا التحدي وذكره في القرآن إنما هي أن يشهد التاريخ في كل عصر بعجز العرب عنه وهم الخُطباء اللُّدُّ، والفصحاء اللُّسن، حتى لا يجيءَ بعد ذلك فيما يجيءُ من الزمنِ مولد، أو أعجمي كاذب، أو منافق، أو ذو غفلة فيزعمُ أن العرب كانوا قادرين على مثله وأنه غير معجز» [2].

(1) مصطفى صادق عبد الرزاق الرافعي، شاعر عالم بالأدب، من كبار الكتاب، له كتبٌ منها: إعجاز القرآن، والبلاغة النبوية، وتحت راية القرآن، توفي سنة 1356 هـ، انظر الأعلام 235/7.

(2) إعجاز القرآن 22.

وهناك أمرٌ مهم يجب أن نعيه، وهو أن ما يكتبه البشر يحمل الطابَع البشري، وهذا ما لا نجده في أسلوب القرآنِ الكريم ومضمونه الذي يحمل رَوعة الأسلوب، فهو محكمُ السَّردِ، دقيق السَّبْك، متين الأسلوب، قوي الاتصال، نُظمت حروفه وكلماته، ونُسِّقت جمله وآياته، وجاء آخره مساوقاً لأوله، وبدا أوله مواتياً لآخرِه[1]، كما قال في محكم التنْزيل: ﴿ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: ١]، وهذا يسودُ القرآنَ من مبتدئه إلى منتهاه، إذ لا يستطيع البشرُ الإتيانَ بمثله[2]، فهو كلام الواحد الديان ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]، فالأسلوب الأدبي للقرآن الكريم أسلوب رفيع عال يفوق أي أسلوبٍ من الأساليب العربية الأخرى، سواءٌ أكانت قصيدةً أم نثراً مسجوعاً أم غير مسجوع، أو شعراً، فلغة النبي صلى الله عليه وسلم تدل على رصانةِ ألفاظه وقوة فصاحتِه وبلاغته، فقد أوتي جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم، وهو ما بدا واضحاً في سنته عليه الصلاة والسلام، ومع ذلك كله لا يمكن أن يصل لمستوى القرآنِ الكريم فهو معجزٌ، عجزت الإنس والجن عن أن يأتوا بمثله ولن يستطيع أحدٌ الإتيانَ بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً، بعكس الحديث النبوي فإن أعجز عامة الناس الإتيان بالأسلوب البشري فلا يعجز بعض خاصتهم الإتيان بأسطرٍ منه، وبالمقارنة بين القرآنِ والسنة يتضحُ الفرق بين الأسلوب الإلهي الذي يدل على روعة النظمِ القرآني وبين الأسلوب البشري، قال ابن عطية: ((لو نُزعت منه

(1) انظر: مناهل العرفان 61/1.

(2) مصدر القرآن ص 295.

لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجدَ أحسن منها لم يوجد))[1] وقال الزرقاني في البيان والتوضيح بين الأسلوبين: ((حتى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أوتي جوامع الكلم، وأشرقت نفسه بنور النبوة والوحي، وصِيغَ على أكمل ما خلق الله، فإنه مع تحليقه في سماءِ البيان وسُمُوِّه على كل إنسان لا يزالُ هناك بَونٌ بينه وبين القرآن)) [2].

وما إسلام لبيد بن ربيعة [3] وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما المعروفين بالفصاحة والبيان إلا دليلٌ واضحٌ على الأسلوب البلاغي الراقي الذي انفرد به القرآنُ الكريم عن غيره من الأساليب، فقد كانت هناك قصيدةٌ شعرية للبيد تُعَدُّ من أعظم ما قيل من الروائع في عهد محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يجرؤ أحدٌ من الشعراء على منافستها حتى علقت بجانبها بعض آياتٍ من القرآنِ الكريم، فأسلم لبيد في الحال وقال قولته: ((إن كلاماً كهذا ليس من قول البشر، وإنه لا شك وحيٌ إلهي)) [4]، وعمر بن الخطاب كان فصيحاً لا نظير له، وكان يعادي الإسلام والقرآن حتى وجد عند أخته صحيفةً بها بعض القرآن فطلبها فامتنعت فقرأها، فلما تمكن من قراءتها ملأت الآيات القليلة قلبه إعجاباً ورهبة، ومنذ تلك اللحظة أصبح عمر بن الخطاب واحداً من رموز قادة الإسلام [5].

---

(1) تفسير ابن عطية 52/1.

(2) مناهل العرفان 2/ 298.

(3) لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية، من أهل عالية نجد، أدرك الإسلام ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم، ويُعد من الصحابة، توفي سنة 41 هـ الأعلام 240/5.

(4) انظر الاستشراق والقرآن العظيم د. محمد خليفة ص 52.

(5) انظر الاستشراق والقرآن العظيم د. محمد خليفة ص 53.

هذا بالنسبة للأسلوب، أما المضمون فإن آيات القرآنِ الكريم تدلنا على أنه لا يمكن لمحمدٍ صلى الله عليه وسلم أن يقول القرآن من عند نفسه، بل هو وحيٌ يوحى، فقد طابق الحقائق التاريخية ثم الكونية التي اكتشفها العلم الحديث، والتي لا يمكن لرجلٍ أمي أن يأتي بها قبل أربعة عشر قرناً في محيطٍ كان يُخَيِّمُ عليه الأمية والجهالة، فمثلاً في قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ ﴾[لقمان: ١٠] أشار إلى أن الأرضَ تحت تأثير قوتين قوة الجاذبية الأرضية [1] وقوة الطرد المركزي[2]، وهما قوتان لا يمكنُ بالطبعِ رؤيتهما بأعيننا، فلو أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو الذي كتب هذه الآية قبل اكتشاف الجاذبية بين الأرض وبين الكواكب الأخرى، بل وقبل معرفتنا الحالية بالكون من حولنا، فلماذا تحوي الآيةُ تعبير: ((ترونها))؟ ولماذا لم يقل ببساطة ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ ﴾ [لقمان: ١٠]، بل وأكثر من ذلك: كيف استطاع محمدٌ صلى الله عليه وسلم أن يفكر في أن وجودَ الجبال في أماكنها وبفعل وزنها الخاص يحدث نوعاً من الاتزان الميكانيكي للأرض حول محور دورانها فلا نشعر نحن ساكنيها

---

(1) قوة الجاذبية الأرضية: الأرض تجذب الأجسام المادية تجاهها، وكل جسمين ماديين يتجاذبان بقوة يتناسب مقدارها طردياً مع كتلتيهما، وعكسياً مع مربع المسافة بينهما، ولكننا لا نشعر بهذه القوة بين أجسامنا والكتل من حولنا بسبب أن قوة جذب الأرض لنا أكبر بكثير من قوة تجاذبنا مع بعضنا، وهذا القانون يفسر حركة الأجرام السماوية وقوى التجاذب بينها والتي تجعلها ثابتة في أماكنها النسبية بالنسبة لبعضها البعض.

(2) قوة الطرد المركزي: عندما يدور الجسم في مسار دائري فإنه يميل إلى الابتعاد عن مركز الحركة بما يسمى بـ: قوة الطرد المركزي، وسبب هذه القوة هو كتلة الجسم وقصورها الذاتي، انظر: كتب الفيزياء للصف الثاني ثانوي، طبع وزارة التربية والتعليم بالمملكة العربية السعودية.

بأي اضطراب أو اهتزاز أثناء دورانها بسرعتها الهائلة[1]، وكذلك نقرأ ونتأمل الكثير من الآيات القرآنية التي تدل على أن محمداً صلى الله عليه وسلم لا يستطيع أن يقول هذا الكلام من عند نفسه، منها قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ * ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ * لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾[الواقعة:٦٨-٧٠]، وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾ [يونس: ٥][2]، وإعجازُ القرآنِ الكريمِ أولُ دليلٍ على مصدرِ القرآنِ الكريمِ الإلهي، وبه ثبوتُ صدق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، لذا قام المستشرقون بالتشكيك في إعجازه والطعن فيه، وفي جمال أسلوبه وبلاغته، ولا يعرف ذلك إلا العرب الخلص الذين عرفوا البيان، وأنى للمستشرقين أو المستعربين منهم ذلك، وهذا هو الذي أكده الباقلاني لا يمكنُ لأي كائنٍ أن يُقَدِّرَ إعجاز القرآن سوى أهل اللغة والبيان ذوي الخبرة بعلوم اللغة المختلفة. ونَصُّ عبارته في كتابه إعجاز القرآن: ((فأما من كان متناهياً في معرفةِ وجوه الخطاب، وطرقِ البلاغة والفنون التي يمكنُ فيها إظهار الفصاحة، فهو متى سمع القرآن عرَف إعجازه))[3].

وبهذا يبطل ما ذكروه من أن مصدرَ القرآنِ هو محمد صلى الله عليه وسلم.

---

(1) انظر: الاستشراق والقرآن العظيم د. محمد خليفة ص 69.

(2) انظر: الاستشراق والقرآن العظيم د. محمد خليفة من ص 70 إلى ص 77 فقد ذكر الأدلة العلمية الواضحة من القرآنِ الكريم على استحالة أن يكون مصدر القرآن هو النبي صلى الله عليه وسلم.

(3) كتاب إعجاز القرآن ص 51، وانظر: الاستشراق والقرآن العظيم د. محمد خليفة ص 56.

ونتيجةً لقول بعض المستشرقين إن مصدر القرآنِ هو محمد أجاز بعضهم القراءة بالمعنى، فزعم بلاشير وجولدتسيهر[1] وغيرهما على جواز قراءة القرآنِ بالمعنى، وأنه لا يهم مطابقته لحرفية اللفظ، واستدل جولدتسيهر على زعمه بما نسبه لعثمان بن عفان رضي الله عنه من قراءة آية آل عمران ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] بإضافة ((ويستعينون الله على ما أصابهم)) وبما نسبه لابن مسعود من قراءته ((أرشدنا الصراط المستقيم)) بدلاً من ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾، مغيراً الكلمة بمرادفها، واستدل بقول ابن مسعود رضي الله عنه كذلك: ((لقد سمعت القراء ووجدت أنهم متقاربون فاقرؤوا كما علمتم فهو كقولكم: هلم وتعال))، واستدلالهم باطل؛ لأن قراءة عثمان رضي الله عنه قراءة آحاد لا يُعتد بها ولا تُعَدُّ قرآناً؛ لعدم استيفائها شرط التواتر، ويؤكد ردها إحراق عثمان رضي الله عنه —المنسوبة له هذه القراءة — لكل مصحف احتوى أمثال هذه القراءات، قال أبو حيان[2] تعقيباً على هذه القراءة: ((ولم تثبت هذه الزيادة في سواد المصحف ولا تكون قرآناً))[3]، وكذلك قراءة (أرشدنا) في الفاتحة عن ابن مسعود، وقد حمل العلماء هذه القراءات على أنها قراءاتٌ تفسيرية، وذلك لأنها

(1) إجناس مستشرق مجري موسوي يلفظ اسمه بالألمانية ((إجناتس جولد تسيهر))، له تصانيف باللغات الإنجليزية والألمانية والفرنسية في الإسلام والفقه والأدب العربي، الأعلام 84/1.

(2) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الغرناطي الأندلسي أبو حيان، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات، من كتبه البحر المحيط في تفسير القرآن توفي سنة 745 هـ، انظر الأعلام 152/7.

(3) تفسير البحر المحيط 10/1.

آحاد وخالفت سواد المصحف، وأراد الصحابي من ذكرها توضيح معنى النص بمرادفه في اللفظ أو توضيح المقصود منه من حيث المعنى [1].

وقد استدل بعضهم بجواز القراءة بالمعنى اعتماداً على حديث نزول القرآن على سبعة أحرف، وهو زعمٌ باطل؛ لأن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم لم يكونوا يقرؤون بهواهم وكيفما يشاؤون كما صور ذلك بلاشير، بل كانت في حدود المسموعِ المتلقَّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا ما أجمع عليه العلماء المحققون [2]، واستدل بعضهم بفعل الصحابة كعبد الله بن مسعود رضي الله عنه فإنه كان يجيز القراءة بالمعنى، وقد ذكر المحققون من العلماء بأن هذا غير صحيح، فقال القاضي أحمد بن عمر الحموي [3]: ((أما ما نقل عن الصحابة بأنهم يجيزون القراءة بالمعنى دون اللفظ، كالذي نُسب لابن مسعود فإنه لا يصح))[4]، وقال ابن تيمية [5]: ((وأما من قال عن ابن مسعود أنه كان يجوز القراءة بالمعنى فقد كذب عليه، وإنما قال: نظرت إلى القراء فرأيت قراءتهم متقاربة وإنما هو كقول أحدكم: أقبل، وهلم، وتعال، فاقرؤوا كما علمتم

(1) انظر آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره 2/ 387.

(2) انظر: المدخل للقرآن الكريم، د. محمد أبو شهبة ص 207 ـ 208.

(3) أحمد بن عمر بن أبي الرضا، شهاب الدين أبو الخير، قاضي حلب، كان عالماً بالقراءات، قتل في 791 هـ، وله زهاء أربعين عاماً، انظر: النجوم الزاهرة 11/ 382، شذرات الذهب 315/6، الأعلام 187/1.

(4) القواعد والإشارات في أصول القراءات أحمد بن عمر الحموي ص 28.

(5) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام أبو العباس، تقي الدين بن تيمية الإمام شيخ الإسلام، آية في التفسير والأصول فصيح اللسان، من كتبه الفتاوى، والسياسة الشرعية، توفي سنة 728 هـ انظر: الأعلام 144/1.

أو كما قال»[1]، وبطلان القراءة بالمعنى يبطل ما ذكروه من أن مصدرَ القرآنِ هو محمد.

وربما استنبط بعضهم مما كان يدور بين الصحابة من خلاف في القراءة جواز الاجتهاد في القراءة والقراءة بالمعنى كما حصل في قصة الصحابيين الجليلين عمر بن الخطاب وأبي بن كعب، فعَن عَبدِ الرَّحمَنِ بنِ عَبدٍ القَارِيِّ قَال: سَمِعتُ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ يَقُولُ: سَمِعتُ هِشَامَ بنَ حَكِيمِ بنِ حِزَامٍ يَقرَأُ سُورَةَ الفُرقَانِ عَلى غَيرِ مَا أَقرَؤُهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلمَ أَقرَأَنِيهَا، فَكِدتُ أَن أَعجَل عَليهِ، ثُمَّ أَمهَلتُهُ حَتَّى انصَرَفَ، ثُمَّ لبَّبتُهُ بِرِدَائِهِ فَجِئتُ بِهِ رَسُول اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلمَ، فَقُلتُ: يَا رَسُول اللهِ إِنِّي سَمِعتُ هَذَا يَقرَأُ سُورَةَ الفُرقَانِ عَلى غَيرِ مَا أَقرَأتَنِيهَا، فَقَال رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلمَ: «أَرسِلهُ، اقرَأ» فَقَرَأَ القِرَاءَةَ التِي سَمِعتُهُ يَقرَأُ، فَقَال رَسُولُ اللهِ صَلى الله عَليهِ وَسَلمَ: «هَكَذَا أُنزِلت» ثُمَّ قَال لِي: «اقرَأ» فَقَرَأتُ فَقَال: «هَكَذَا أُنزِلت، إِنَّ هَذَا القُرآنَ أُنزِل عَلى سَبعَةِ أَحرُفٍ فَاقرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنهُ»[2].

وعَن أُبَيِّ بنِ كَعبٍ قَال كُنتُ فِي المَسجِدِ، فَدَخَل رَجُلٌ يُصَلي، فَقَرَأَ قِرَاءَةً أَنكَرتُهَا عَليهِ، ثُمَّ دَخَل آخَرُ فَقَرَأَ قِرَاءَةً سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ، فَلمَّا قَضَينَا الصَّلاَةَ دَخَلنَا جَمِيعًا عَلى رَسُول اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلمَ، فَقُلتُ: إِنَّ هَذَا قَرَأَ قِرَاءَةً أَنكَرتُهَا عَليهِ، وَدَخَل آخَرُ فَقَرَأَ سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ، فَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ

(1) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية 397/13.

(2) أخرجه البخاري، كتاب الخصومات باب كلام الخصوم بعضهم في بعض ص 477، وأخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقَصْرِها، باب بيان أن القرآنَ على سبعة أحرف وبيان معناه 468/1 . 469.

عَليهِ وَسَلمَ فَقَرءا فَحسَّنَ النَّبِيُّ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلمَ شَأنَهُمَا، فَسَقَطَ فِي نَفسِي مِن التَّكذِيبِ وَلا إِذ كُنتُ فِي الجَاهِليَّةِ، فَلمَّا رَأَى رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلمَ مَا قَد غَشِيَنِي ضَرَبَ فِي صَدرِي فَفِضتُ عَرَقًا وَكَأَنَّمَا أَنظُرُ إِلى اللهِ عَزَّ وَجَل فَرَقًا، فَقَال لِي: ((يَا أُبَيُّ أُرسِل إِليَّ أَن اقرَأ القُرآنَ عَلى حَرفٍ فَرَدَدتُ إِليهِ أَن هَوِّن عَلى أُمَّتِي، فَرَدَّ إِليَّ الثَّانِيَةَ اقرَأهُ عَلى حَرفَينِ، فَرَدَدتُ إِليهِ أَن هَوِّن عَلى أُمَّتِي، فَرَدَّ إِليَّ الثَّالثَةَ اقرَأهُ عَلى سَبعَةِ أَحرُفٍ، فَلكَ بِكُل رَدَّةٍ رَددتُكَهَا مَسأَلةٌ تَسأَلُنِيهَا، فَقُلتُ: اللهُمَّ اغفِر لأُمَّتِي، اللهُمَّ اغفِر لأُمَّتِي، وَأَخَّرتُ الثَّالثَةَ ليَومٍ يَرغَبُ إِليَّ الخَلقُ كُلُّهُم حَتَّى إِبرَاهِيمُ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلمَ)) (1).

والشاهد من الحديثين الذي يدل بصدقٍ ووضوح أنَّ مصدر الصحابة جميعاً في القرآنِ الكريم هو النبيُّ صلى الله عليه وسلم، وأنه لا يجوز لهم الاجتهاد إلا وفق ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم أو أقره لهم قوله: ((فَجِئتُ بِهِ رَسُول اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلمَ)) (2)، وقول النبي صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلمَ للاثنين المتخاصمين اللذين ترافعا إليه صلى الله عليه وسلم: ((هَكَذَا أُنزِلت)) (3)، وفي الحديث الثاني: ((فَقَرَآ فَحَسَّنَ النَّبِيُّ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلمَ شَأنَهُمَا)) (4)، مما يؤكد أن المصدر هو الله تعالى.

الشبهة الثانية: أن مصدر القرآن الديانات الأخرى:

(1) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين وقَصْرِها، باب بيان أن القرآنَ على سبعة أحرف وبيان معناه 469/1. 470.

(2) انظر: تخريجه في الصفحة السابقة.

(3) انظر: تخريجه في الصفحة السابقة.

(4) انظر: تخريجه في الصفحة السابقة.

ذهب بعض المستشرقين إلى أن مصدر القرآنِ هو الديانات الأخرى، وإن مما اتهم به المستشرقون نبيَّ الإسلام محمداً صلى الله عليه وسلم أنه نقل القرآن عن راهبٍ من رهبان الكنيسة [1]، أو تعلم أشياء من بحيرا، بل إن بعضهم يزعم كذباً أنه عليه الصلاة والسلام قد سكن مع الراهب أثناء إحدى رحلاته إلى الشام، ويزعم واشنجتن إرفنج اهتمام بحيرا بالصبي محمد وأنه كان يريد تنصيره حتى إذا ما رجع إلى قومه قام هو بدوره بحمل بذور النصرانية إليهم[2]، أو أن محمدا صلى الله عليه وسلم تلقى القرآنَ وتعلمه ونقله عن ورقة بن نَوفَل، وقد ذهب إلى ذلك قديماً درمنغام، وحديثاً البروفسور (مونتكمري واط)[3]، فقال في أثناء حديثه عن زواج النبي صلى الله عليه وسلم من خديجة: ((كما أن خديجة كانت ابنة عم رجلٍ يدعَى ورقة بن نوفل ابن أسد، وهو رجلٌ متدين اعتنق أخيراً المسيحية غالباً، وبالتأكيدِ فإن خديجة وقعت تحت تأثيره، ويمكنُ أن يكونَ محمد قد أخذ شيئاً من حماسَة فكرته))، وقال: ((ويبدو ورقة من بين الذين اتصل بهم محمد لسبب معرفته بكتب المسيحية المقدسة، ولا شك أن المقطعَ القرآني حين ردده محمد يجب أن يكونَ قد ذَكَره بما هو مدينٌ به لورقة))[4]، ويؤكد ذلك الخوري الحداد المنصِّر اللبناني بقوله: ((فوجود العالم المسيحي ورقة بن نوفل في جِوار محمد خمسة عشر عاماً قبل البعثة وأعواماً

---

(1) انظر: كتاب ((القرآن)) ص 12، 26، وكتاب ((المستشرقون والقرآن)) ص 24.

(2) انظر: مصدر القرآن ص 111.

(3) مستشرق عميد كلية الدراسات العربية بعد ريتشارد بل بجامعة أدنبره، من مؤلفاته ((مدخل إلى القرآن))، و((الوحي الإسلامي في العصر الحديث))، انظر: المستشرقون، نجيب العقيقي 132/2.

(4) انظر: وحي الله للدكتور حسن عتر ص 85 نقلاً عن .Mohammad at Mecca

بعدها في أوائل الدعوة، ووجود هذه الحاشية الكريمة في المدينة مع النبي في كل زمان ومكان حجة قاطعة على أن بيئة النبي والقرآن كانت كتابية من كل نواحيها، وأن ثقافة محمد والقرآن كتابية في كل مظاهرها وذلك بمعزل عن الوحي والتنْزيل» [1].

وللرد على هذه الفرية نستطيع أن نقول: إنهم خلطوا بين الحق والباطل:

هناك لقاءٌ تم بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين ورَقة بن نوفل، وهذا ثابت بالنصوص حيث قال ورقة للنبي صلى الله عليه وسلم: «هَذَا النَّامُوسُ الذِي نَزَّل اللهُ عَلى مُوسَى، يَا ليتَنِي فِيهَا جَذَعًا، ليتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذ يُخرِجُكَ قَومُكَ فَقَال رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلمَ: أَوَمُخرِجِيَّ هُم؟ قَال: نَعَم، لم يَأتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثل مَا جِئتَ بِهِ إِلا عُودِيَ، وَإِن يُدرِكنِي يَومُكَ أَنصُركَ نَصرًا مُؤَزَّرًا»[2]، وهذا اللقاء قد تم في زمنٍ متأخر بعد مجيء ملك الوحي المرة الأولى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يدل على عدمِ وجودِ صلةٍ سابقة بينهما [3]، بل السيدة خديجة هي التي عَرَّفته به فكان ورقة من الذين تنصروا في الجاهلية وكان يعرفُ العربية والعَبرانية، وكان له علمٌ بالكتب السابقة، وعندما علمت خديجة بحال النبي صلى الله عليه وسلم وما حصل له من أمور وتطورات ذهبت إلى ابن عمها ورقة، فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بما رأى، فقال له ورقة ما قال، وهذا اللقاء الذي حصل بينهما لا يمكن أن يكون ينبوعاً للقرآنِ

---

(1) الحداد، القرآن والكتاب 2/ 1060.

(2) انظر: الحديث ص 17.

(3) انظر: وحي الله للدكتور حسن عتر ص 91، 92.

الكريم كما يقول المستشرقون؛ لأن المقابلة كانت خاطفة، وما روي من بقاء ورقة حتى شهد الدعوة المحمدية والصراع بين المسلمين والمشركين فغير صحيح وهي رواية شاذة [1].

وهذه الشبهةُ أيضاً تتبددُ سريعاً عند المقارنة بين القرآن الكريم وبين روايات التوراة والإنجيل لقصة من القصص أو صفحات منهما، فبينما نجد في القرآنِ صياغةً على نسقٍ عال من البيان والحكمة، نجد ذلك مفقوداً في الإنجيل والتوراة المحرفتين، أما ما زعمه واشنجتن إرفنج من أن بحيرا كان يريد تنصير محمدٍ صلى الله عليه وسلم، حتى إذا ما رجع إلى قومه قام هو بدوره بحمل بذور النصرانية إليهم فهو قول سخيف؛ لأن عمر النبي صلى الله عليه وسلم كان آنذاك لا يتجاوز الثانية عشرة سنة، ولقد سفه المستشرق كارلايل أن يتعلم صبيٌ في هذه السن من راهبٍ يتحدث لغةً أجنبية شيئاً ذا بال [2]، وبالنظر في علم الإسناد يتبين لنا أنه لم يأتِ على لسانِ أي مؤرخٍ ما يفيدُ أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قد جلس وتعلم شيئاً من أحد، أو حتى جلس وتشاور مع أصحابه إلا بعد أن أصبح نبياً [3].

وشبهةٌ أخرى قريبة من الشبهة السابقة، وهي أن القرآن مُلفَّقٌ من اليهودية والنصرانية في موضوعه ومصادره وقِصصه وجدَله، وأن محمداً كان متأثراً إلى أبعد الحدود باليهود والنصارى، فمصدرُ القرآن هو التوراة والإنجيل، يقول المستشرق

---

(1) انظر: المدخل لدراسة القرآنِ الكريم ص 95.

(2) انظر: مصدر القرآن 111.

(3) انظر: الاستشراق والقرآن العظيم د. محمد خليفة 48.

اليهودي إبراهام جيجر في كتابه ((ماذا اقتبس محمد من اليهودية)): ((إن القرآنَ مأخوذ باللفظ أو بالمعنى من كتب اليهود))، ويؤكد اليهودي برنارد لويس[1]: ((أن محمداً خضع للتأثيرات اليهودية والمسيحية كما يبدو ذلك واضحاً في القرآن))، ويشرح جولدتسيهر قائلاً: ((تبشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التي تأثر بها تأثراً عميقاً، والتي رآها جديرة بأن توقظ في بني وطنه عاطفةً دينية صادقة، فصارت عقيدةً انطوى عليها قلبه، كما صار بعد هذه التعاليم وحياً إلهياً))[2]، وكل مستشرقٍ يأخذ هذه الفرية ممن سبقه على أنها مسلمة استشراقية تسيطرُ على المستشرقين جميعاً، ولهم في ذلك فروض افترضوها.

وللرد على هذه الشبهة نستطيع أن نقول: إنه لا يوجد دليلٌ واحدٌ على هذا الادعاء، ولا يمكنُ وفق المنهج العلمي سماعُ هذه التهمة، فضلاً عن قبولها، ومع ذلك نبين أن هناك علاقة بين القرآن الكريم وبين الكتب السماوية، فقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [يونس: ٣٧] وقال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ [الشورى: ١٣]، والعلاقةُ بين القرآن الكريم وبين الكتب السماوية السابقة ليست

---

(1) برنارد لويس المولود عام 1916م عين معيداً للتاريخ الإسلامي في جامعة لندن، ثم أستاذاً للتاريخ في جامعة كاليفورنيا، له مذكرات وكتب منها ((الوحي وأثره في التاريخ الإسلامي))، انظر: المستشرقون للعقيقي 561/2.

(2) انظر: كتاب الغارة التنصيرية ص 59.

علاقة اقتباس، بل هي علاقة تصديقٍ وتفصيلٍ كما قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨]، فالقولُ بأن القرآنَ مقتبسٌ من التوراة والإنجيل قولٌ مرفوض، وقد رد المستشرقون بعضهم على بعض، فها هو المنصِّر الدومنياني الراهب دي مونت كروس يقول معارضاً قولهم: إنه مقتبسٌ من التوراة والإنجيل ومؤكداً ذلك بقوله: ((يا محمد أنا لا أصدق أنك قد تسلمت هذه الآراء من الله، لأنكَ عجيبٌ غريبٌ في رسالتك، لأنكَ لا تتفق مع أي كتابٍ مصدق، يجب أن ننبذ ما ادعى محمدٌ أنه تسلمه من الله؛ لأنه مناقضٌ تماماً للأحكام التي كتبها موسى والأنبياء والرسل من بعده)) [1].

والغريب حقاً ادعاؤهم أن القرآنَ يقتبس من اليهودية والنصرانية في حين أن القرآنَ الكريمَ قد رد تحريفاتِ أهل الكتاب، فإن اليهودَ كانوا يزعمون أن عزيراً ابن الله، وكانت النصارى تقول بأن المسيحَ هو ابنُ الله، وقد رد القرآنُ عليهم وبين أن هذا الاعتقاد هو اعتقادٌ شركي قديم، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة:30] والعقيدة الإسلامية تخالف عقيدة اليهود والنصارى من أساسها، فبينما يقول النصارى بأن الله ثالث ثلاثة: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [المائدة: ٧٣] يركز القرآنُ على عقيدة التوحيد، فالله تعالى في القرآنِ واحد،

(1) انظر: الغارة التنصيرية ص 65.

ويستحيلُ أن يكونَ اثنين أو ثلاثة أو أكثر ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤]، فالذي يميز القرآنَ عن غيره من الأديان هو الوحدانية المطلقة بكل معانيها، وهذه الوحدانية المطلقة تخالف العقائدَ التي كانت موجودة أيام ظهور الإسلام [1]، فكيف يحصل الاقتباس، وهناك اختلافٌ جوهري في العقيدة ؟

«والذين يدعون أن القرآن الكريم مصدره الإنجيل والتوراة، فإنهم يجهلون ما أورده القرآن من أصول عديدة لم ترد في الكتابين، ومن تفصيلات في بعض الأحداث لم يعرفها اليهود والنصارى، فقد أخبر القرآن بأشياء ما كان يعلمها أحدٌ من أهل الكتاب أنفسهم مع أنها تتعلق بصميم مسائل دينهم، فهم لم يكونوا يعرفون شيئاً عن كفالة زكريا للسيدة مريم بعد ولادتها، كذلك فقد أخبر القرآن بأشياء كثيرة تحققت تحققاً تاماً بعد الإخبار بها، منها إخباره عن انتصار الروم بعد انخذالهم، وكان الفرس قد غلبوا الروم عام 610م، وأخبر القرآن الكريم بأمور ما عرفت إلا في هذا العصر الحديث وما كان أحدٌ يعرفها أو يؤمنُ بها إلا المسلمون، ولم يرد بها أي أثارةٍ من علمٍ في التوراة أو الإنجيل، ومن ذلك إخباره بانخفاض الضغط الجوي في أعالي الجو ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ [الأنعام:125] [2]، ولا يوجد دليل واحد صحيح على أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قد تعلم من يهودي أو

(1) انظر: مصدر القرآن 217.

(2) الإسلام والمستشرقون 208.

نصراني، وهذا لا يمنع أن تكون هناك بعض النقاط الموافقة لبعض ما عند أهل الكتاب مما لم يُصبه التحريف [1]، وذلك لأن الإسلام يعترف بالكتب السماوية السابقة ويوجب على أقوامهم أن يعترفوا بها، ومن هنا نفهم قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨]، وبهذا يبطل ما ذكروه من أن مصدرَ القرآنِ هو بعض الديانات الأخرى.

الشبهة الثالثة: أن مصدر القرآن هو الحنيفية:

ذهب بعضُ المستشرقين ومنهم تسدال ومستر كانون إلى أن مصدرَ القرآنِ هو الحنيفية ورجالها قبل البعثة المحمدية، بدليل أن هناك توافقاً بين أحكام القرآنِ وبين ما يدعو إليه الحنفاء، في أمور كثيرة منها: توحيدُ الله في ألوهيته، والحديث عن الجنة والنار، والإيمان بالبعث والنشور والحشر والحساب، وأمور القيامة وغير ذلك، وقد زعم شبرنجر أن أفكار محمدٍ لا تخرج عن الأفكار التي كان يدعو إليها زيد بن عمرو بن نفيل[2] أحد هؤلاء الحنفاء، وقد كتب المستشرقون في معنى كلمة الحنيفية واشتقاقها وأصلها وهل هي عربية الأصل أم عبرية أم كنعانية آرامية بحوثاً كثيرة.

وهذه الكلمة عربية الأصل، وهي في اللغة العربية تدل على معانٍ منها: الميل، قال أبو عمرو: الحنيف المائل من خيرٍ إلى شر أو من شر إلى خير،

---

(1) انظر: مصدر القرآن 240.

(2) زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى القرشي العدوي، أحدُ الحكماء وهو ابن عم عمر بن الخطاب، لم يدرك الإسلام، وكان يكره عبادة الأوثان ولا يأكل مما ذبح إليها توفي سنة 17 ق هـ، 606 م، انظر الأعلام 60/3.

والحنيف المسلم الذي يتحنف عن الأديانِ أي يميلُ إلى الحق. قال أبو منصور: معنى الحنيفية في الإسلام الميل إليه والإقامة على عقده، والحنيفية جمع حنيف، وهو المائل إلى الإسلام الثابت عليه(1). وفي الحديث قال النَّبِيُّ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلمَ: ((أحب الأديان إلى الله الحنيفية السمحة)) (2). وقال صلى الله عليه وسلم: ((إِنِّي أرسلت بحنيفية سمحة)) (3)، فالحنفاء إذن هم مجموعةٌ من الإصلاحيين الذين مالوا عن الشرك والوثنية إلى التوحيد، محافظين على دين إبراهيم وبقايا شرعه من دعوةٍ للتوحيد ونبذ عبادة الأصنام والإقرار بالبعث والنشور وتبشير المؤمنين بالجنة وتخويف الكافرين بالنار، وقد ظهر الحنفاء في أماكن مختلفة ومتباعدة فظهروا في اليمن متأثرين بمبادئ التوحيد التي حملتها إليهم اليهودية والنصرانية، وظهروا في مصر على يد إخناتون الذي كان داعية التوحيد عندهم، وظهروا في بلاد فارس على يد زرادشت بعد مولد إبراهيم عليه السلام بالدعوة نفسها، وظهروا في الجزيرة العربية امتداداً لدعوة أبينا إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، فبقوا محافظين على شيءٍ من تراث إبراهيم عليه السلام من دعوة للوحدانية ونبذ لعبادة الأصنام، وخير من وضح عقيدتهم(4) قُس بن

(1) لسان العرب 56/9، 57.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه تعليقاً، كتاب الإيمان، باب الدين يسر وقول النبي صلى الله عليه وسلم (أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة) ص 12، وأخرجه الإمام أحمد في المسند 326/1، وحسَّن إسناده الحافظ ابن حجر (الفتح 94/1)، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة برقم 881).

(3) أخرجه الإمام أحمد في المسند 116/6، وقال عنه محقق المسند الشيخ الأرناؤوط: ((حديث قوي، وهذا سند حسن)) المسند 349/41 برقم 24855.

(4) آراء المستشرقين حول مصدر القرآن الكريم 184.

ساعدة[1] حيث وقف يوماً في سوق عكاظ فقال: ((يا معشر الناس اجتمعوا فكل من فات فات، وكل شيءٍ آتٍ آت، ليلٌ داج، وسماءٌ ذات أبراج، وبحرٌ عجاج، نجومٌ تزهر، وجبالٌ مرسية، وأنهارٌ مجرية، إن في السماءِ لخبراً، وإن في الأرضِ لعبراً، مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون، أرضوا بالإقامة فأقاموا، أم تركوا فناموا، أقسم قس بالله قسماً لا ريب فيه، إن لله ديناً هو أرضى من دِينكم هذا)) [2]، وهؤلاء الحنفاء كانوا حريصين أن يصلوا لدين إبراهيم عليه السلام، وكانوا على يقينٍ أن الله تعالى سيبعث من يجدد أمر دين إبراهيم عليه السلام، وكانوا يبحثون عن دينٍ كالإسلام ويبشرون بنبيه ويتمنون لو يدركونه فينصروه ويسلموا معه، وذكر المستشرقون هنا أن دعوة محمدٍ صلى الله عليه وسلم لم تتعد أفكارها أفكار الحنفاء المذكورين، وهذا في الحقيقة جهلٌ بحقيقة مصدر القرآنِ وهو خلاف الواقع والحقيقة؛ لأن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يأخذ منهم ولم يجلس معهم إلا لقاءات عابرة بسيطة، فالقرآن هو كلام الله تعالى الذي أنزله على نبينا محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وهناك بون شاسعٌ بين القرآن وبين ما ذكره هؤلاء الحنفاء في كتبهم في الأسلوب والطرح والفكر والعقيدة، ونحو ذلك من الأمور التي لا يلتقيان فيها إلا في بعض الأمور التي هي بقايا دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام وكلاهما من مصدر واحد وهو المصدر الإلهي، فمن

(1) قُس بن سَاعدة بن عمرو بن عدي بن مالك من بني إياد، أحد حكماء العرب ومن كبار خطبائهم في الجاهلية، طالت حياته وأدركه النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة، توفي نحو 23 ق هـ انظر الأعلام 196/5.

(2) انظر: البداية والنهاية 232/2، 233.

هذا القبيل جاء الاتفاق بينهما في الدعوة إلى عبادة الله تعالى ومحاربة الشرك بأنواعه[1]، وبهذا يبطل ما ذكروه من أن مصدرَ القرآنِ هو الحنيفية.

الشبهة الرابعة: أن الوحي حالة من الصرع يصيب النبي صلى الله عليه وسلم:

أن الحالة التي كانت تعتري النبي صلى الله عليه وسلم هي حالةُ صَرَعٍ ونوبات منه تتمخضُ عما يخبر به أنه وحي [2]، ومن أوائل من اتهمه بذلك الكاتب البيزنطي ثيوفانيس[3]، ويؤكد ذلك نولدكه [4] فيقول: ((إن سبب الوحي النازل على محمد صلى الله عليه وسلم، والدعوة التي قام بها هو ما كان ينتابه من داء الصرع))[5]، وأكد سان بدرو[6] أن النبي كان مصروعاً بمعنى أن الشياطين كانت تسيطر عليه وتتحكم فيه، وكذلك وصف رودينسون[7] القرآنَ بأنه هَلوسة سمعية وبصرية وهذَيان [8].

---

(1) انظر: آراء المستشرقين حول القرآنِ الكريم وتفسيره، لعمر بن إبراهيم رضوان من ص 183 إلى 187.

(2) انظر: الإسلام والمستشرقون 201، والمدخل إلى القرآن 103، 106، دعوى المستشرقين 132 وما بعده.

(3) وانظر: مصدر القرآن ص 190.

(4) ولد سنة 1836م من أسرة عريقة قاتل قدماؤها الرومان وشغل أفرادها مناصب علمية وإدارية كبيرة، ونال جائزة مجمع الكتابات والآداب في باريس على رسالته أصل وتركيب سور القرآن، المستشرقون نجيب العقيقي 738/2.

(5) انظر: حاضر العالم الإسلامي، لوثروب ستودارد 1 /34.

(6) انظر: الإسلام والمستشرقون 201، والمدخل إلى القرآن د. محمد محمد أبو شهبة 103، 106.

(7) رودينسون المولود عام 1915م من أساتذة مدرسة الدراسات العليا بباريس ثم مديرها، له بحوث منها: حياة محمد، والمشكلة الاجتماعية المتعلقة بأصول الإسلام. المستشرقون نجيب العقيقي 328/1.

(8) انظر: الاستشراق والقرآن العظيم د. محمد خليفة ص 42.

ونعوذ بالله من هذه الاتهامات والأكاذيب التي لا تستندُ إلى واقعٍ ولا دليل علمي أو تاريخي وينقضها العقل ويكذبها الواقع، وقد سبق أن بينا في الفصل الثاني صحة مصدر الوحي، فظاهرة الوحي ربانية المنشأ ملائكية النقل بشرية التبليغ [1]، فرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم مُبَلِّغٌ فقط، وقد نفى الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم صفة الجنون؛ لأنها تناقض هدي النبوة وتُخِلُّ بشرف الرسالة، فقال تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢]، والغريب من هؤلاء أنهم يثبتون الوحي في أنبيائهم فيقبلون أن تكون التوراة وحياً من الله تعالى، وتنْزيلاً منه على موسى عليه الصلاة والسلام، ويقبلون أن تكون أقوال الحواريين وتلامذة المسيح عليه السلام كما وصلت إليهم على أنها وحي من الله تعالى، ولا يثبتون الوحي في محمد صلى الله عليه وسلم بل يعتبرون ذلك صرعا ونوبات ونحوهما من الأمور التي لا يصدقها عاقل، ويستطيع أي إنسانٍ يعرف سيرةَ النبي عليه الصلاة والسلام وشخصيته أن يجزمَ صادقاً أنه غير مصابٍ بالصرَع؛ إذ لو كان كذلك لقام أصحابه وأنقذوه، ولكنهم كانوا يدَعونه ولا يقربونه حتى ينجَلي عنه الوحي فيفيق حينئذٍ من نفسه دون أن يكونَ هناك علامة فَزَعٍ على وجهه أو زوَغان بصر أو معاناة أو أي شيءٍ مما يُشاهَدُ على المصروعِ ساعة إفاقته، ولو كان عليه الصلاة والسلام مصاباً بالصَّرَع لكان يسقط على الأرض شأن المصروعين حينما كان يفاجئه الوحي وهو قائمٌ أو جالسٌ أو متوكئٌ على عسيبٍ أو راكبٌ على ناقته، ولكنه لا يسقط [2].

(1) انظر: آراء المستشرقين حول القرآنِ الكريم وتفسيره، عمر بن إبراهيم رضوان ص 286.

(2) انظر: مصدر القرآن 190، 191.

ثم إن وصف ظاهرة الوحي الإلهي وما كان يعتري النبي صلى الله عليه وسلم عند تلقيه بالهَوَس أو الصرَع أو نحو ذلك من الانحرافات النفسية جهلٌ خطير بحقيقة النبوة، ومن المعروف من الناحية الطبية أن آثار نَوبات الصرَع هي التمزق والحزن الشديد، ولكن لا توجد أي علامات من هذا القبيل في أدق التفاصيل عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم، بل كان يسيطر بشكل واضحٍ على كل قدراته وملكاته العقلية والشخصية في آنٍ واحد[1]. والذي يظهر لنا جليا وواضحاً أن ما كان يعتري رسول الله صلى الله عليه وسلم هي حالة نفسية وجسدية لتلقي وحي الله تعالى، وهناك فرق واضح بين الحالتين: حالة الصرع التي تنتاب المصروعِين، وحالة الوحي التي تعتري أنبياء الله تعالى، ويؤكد ذلك ما شهدت به الأعداء، فهذا المستشرق أميل درمنغم[2] يقول: ((وحياة محمد كانت منتظمة موزونة قبل بعثته، وما انفكت تكون كذلك بعدها إلا في حالات الوحي)) [3]، ويقول أرميا: ((والحق أن محمداً كان مبرأ من مثل هذه الأمراض على الدوام، فقد كان تام الصحة إلى أن بلغ سن الكمال)) [4]. ثم إن في شهادة خديجة رضي الله عنها له ما يدفع هذه الشبه ((كَلا وَاللهِ مَا يُخزِيكَ اللهُ أَبَدًا إِنَّكَ لتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحمِلُ الكَل وَتَكسِبُ المعدُومَ وَتَقرِي الضَّيفَ وَتُعِينُ عَلى

---

(1) انظر: الاستشراق والقرآن العظيم د. محمد خليفة 42.

(2) مدير مكتبة الجزائر، له كتاب في حياة محمد، وقيل إنه خير ما صنف مستشرق عن النبي، المستشرقون نجيب العقيقي 297/1.

(3) انظر: الوحي والقرآن الكريم، د. محمد حسين الذهبي ص 28.

(4) انظر: آراء المستشرقين حول القرآنِ الكريم وتفسيره، عمر بن إبراهيم رضوان 283.

نَوَائِبِ الحَقِّ)) [1]، والمستشرقون يقرون بالوحي في كتبهم فإذا كانوا يقرون به فكيف يطعنون فيه، وقد جاء في كتاب دائرة المعارف البريطانية ((الوحي Revelation فترة دينية تحدد اتجاه الأمة الروحي، ويأتي هذا التحديد من خلال إلهام أو أحداث أو ممارسة روحية تهدف إلى تغيير حياة أفراد أو جماعات، وكل دين من الأديان الكبيرة يفسر الوحي بمفهومٍ واسع يحمل تابعيه على الاعتماد على أحاسيس أو مشاعر مؤسسة من فرد أو جماعة، والوحي من وجهة النظر الدينية تعاليم تلقى على مؤتمن من الرجال، الهدف منها تغيير حياة الأمة، وهو في الأديان النبوية كاليهودية والمسيحية والإسلام رسالة من الله إلى رجلٍ أمين يبلغها قومه... ويأتي الوحي بطرق مختلفة من كلام مسموع أو رؤيا أو غيبوبة أو إلهام يلقى ما يفهم منه أنه كلام الله ليمكِّنَ النبي من الحديث بتأكدٍ عن الله)) [2].

الشبهة الخامسة: أن القرآن الكريم لم ينقل عن طريق التواتر بل عن طريق الآحاد:

واستدلوا على ذلك للطعن في القرآن الكريم بوجوه عدة أذكر منها وجهين:

الوجه الأول: قول زيد بن ثابت رضي الله عنه وأرضاه: ((فتتبعتُ القرآنَ أجمعه من الرقاعِ والأكتاف حتى وجدتُ من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحدٍ غيره ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ

(1) تقدم تخريج الحديث ص 17.

(2) انظر: دعوى المستشرقين أن القرآن من صنع البشر ص 126، 127.

رَءُوفٞ رَّحِيمٞ * فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾)) [التوبة: ١٢٨ – ١٢٩] (1).

الوجه الثاني: أن زيداً قال في أثناء ذِكره لحديث الجمع في عهد النبي صلى الله عليه وسلم: ((نَسَختُ الصُّحُفَ فِي المصَاحِفِ فَفَقَدتُ آيَةً مِن سُورَةِ الأَحزَابِ كُنتُ أَسمَعُ رَسُول اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلمَ يَقرَأُ بِهَا فَلم أَجِدهَا إلا مَعَ خُزَيمَةَ بنِ ثَابِتٍ الأَنصَارِيِّ الذِي جَعَل رَسُولُ اللهِ صَلى الله عَليهِ وَسَلمَ شَهَادَتَهُ شَهَادَةَ رَجُلينِ وَهيَ قَولُهُ ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ ﴾)) [الأحزاب: 23] (2)، فهذا يدل على أن القرآنَ نُقل عن طريق الآحاد، وليس عن طريق التواتر كما تزعمون، وبالتالي فلا حُجِّية للآحاد نظرا لوقوع الأخطاء فيه.

وللرد على هذه الشبهة نقول:

إن المعول عليه في التواتر هو التواتر اللفظي، وهذا ينطبق على القرآن الكريم، فقد نقله جيلٌ عن جيل حتى وصل إلينا حفظاً، ففي أول الأمر حفظه النبي صلى الله عليه وسلم واستظهره وبلغ من استظهار القرآن وحفظه أنه كان يحرك لسانه في أشد حالات حرجه وشدته، ويقصد بذلك استعجال حفظه خشية أن تفلت منه كلمة أو يعزب عنه حرف حتى طمأنه ربه فقال له: ﴿ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ ﴾ [التوبة: ١٢٨] ص 974. 975.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب قول الله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ ﴾ [الأحزاب: 23] ص 570.

﴿لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ * إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ * فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦ - ١٩] وفي هذا تعليم من الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم في كيفية تلقيه الوحي من الملك، فإنه كان يبادر إلى أخذه ويسابق الملك في قراءته فأمره الله عز وجل إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له، وتكفل الله أن يجمعه في صدره وأن ييسره لأدائه على الوجه الأكمل الذي ألقاه إليه وأن يبينه له ويفسره ويوضحه، فالحالة الأولى جمعه في صدره، والثانية تلاوته، والثالثة تفسيره وإيضاح معناه (1).

وكان المصطفى عليه الصلاة والسلام يعرض القرآن في كل عام مرة واحدة على جبريل عليه السلام، وعارضه مرتين في العام الذي توفي فيه صلى الله عليه وسلم، ثم حفظه الصحابة فكان الجم الغفير منهم: الخلفاء الراشدون، وطلحة، وسعد، وابن مسعود، وحذيفة، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبو هريرة، وابن عمر، وابن عباس، وعمرو بن العاص، وابنه عبد الله، ومعاوية، وابن الزبير، وعبد الله بن السائب، وعائشة وحفصة، وأم سلمة وغيرهم كثير، وهؤلاء كلهم من المهاجرين، ومن الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وأبو الدرداء، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، ومجمع بن جارية، وأنس بن مالك رضي الله عنهم أجمعين.

وهذا يدل على أن حفاظ القرآن كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كثرة كبيرة، ومما يؤيد هذا ما ثبت أن كثيراً من الصحابة اشتهروا في عهده صلى الله عليه وسلم بحفظ القرآن حتى كانوا يعرفون باسم القراء، فعن عَاصِمٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَنَسَ بنَ مَالكٍ عَنِ القُنُوتِ، فَقَال: قَد كَانَ القُنُوتُ. قُلتُ: قَبل الرُّكُوعِ

---

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 449/4.

أَو بَعدَهُ، قَال: قَبلهُ. قَال: فَإِنَّ فُلانًا أَخبَرَنِي عَنكَ أَنَّكَ قُلتَ بَعدَ الرُّكُوعِ، فَقَال: كَذَبَ إِنَّمَا قَنَتَ رَسُولُ اللهِ صَلى الله عَليهِ وَسَلمَ بَعدَ الرُّكُوعِ شَهرًا أُرَاهُ كَانَ بَعَثَ قَومًا يُقَالُ لهُمُ القُرَّاءُ زُهَاءَ سَبعِينَ رَجُلاً إِلى قَومٍ مِنَ المشرِكِينَ دُونَ أُولئِكَ، وَكَانَ بَينَهُم وَبَينَ رَسُول اللهِ صَلى الله عَليهِ وَسَلمَ عَهدٌ فَقَنَتَ رَسُولُ اللهِ صَلى الله عَليهِ وَسَلمَ شَهرًا يَدعُو عَليهِم[1].

والذين حفظوا القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم هم أكثر من التواتر، فقد قال القرطبي: ((قد قتل يوم اليمامة سبعون من القراء، وقتل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ببئر معونة مثل هذا العدد))، وقال ابن الجزري: ((ثم إن الاعتماد في نقل القرآنِ على حفظ القلوب والصدور لا على حفظ المصاحف والكتب، وهذه أشرف خصيصةٍ من الله تعالى لهذه الأمة، ففي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنَّ ربي قال لي: قم في قريش فأنذرهم، فقلت له: ربِّ إِذًا يَثلغُوا[2] رَأسِي حتى يَدَعُوهُ خُبزَةً. فقَال: إني مبتليك ومُبْتَلٍ بك، ومنزل عليك كتاباً لا يغسله الماء، تقرؤه نائماً ويقظان...)) [3]، فأخبر تعالى أن القرآن لا يحتاج في حفظه إلى صحيفة تغسل بالماء بل يقرؤه في كل حال كما جاء في صفة أمته ((أناجيلهم في

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوتر، باب القنوت قبل الركوع وبعده 197 (1002)، وفي كتاب الجهاد والسير باب من ينكب أو يطعن في سبيل الله ص569 (2801)، وفي مواضع أخرى.

(2) أي يشدخوه ويشجوه كما يشدخ الخبز أي يكسر، النهاية في غريب الحديث 220/1، وانظر شرح النووي على مسلم 17/ 198.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار 1741/4، (2865).

صدورهم))، وذلك بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه إلا في الكتب ولا يقرؤونه كله إلا نظراً، لا عن ظهر قلب، ولما خص الله تعالى بحفظه من شاء من أهله أقام له أئمة ثقات تجردوا لتصحيحه وبذلوا أنفسهم في إتقانه، وتلقوه من النبي صلى الله عليه وسلم حرفاً حرفاً لم يهملوا منه حركةً ولا سكوناً ولا إثباتاً ولا حذفاً ولا دخل عليهم في شيء منه شك ولا وهم، وكان منهم من حفظه كله، ومنهم من حفظ أكثره، ومنهم من حفظ بعضه))[1].

وأما بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فقد حفظه عدد كبير وخلق كثير، واشتُهِروا بإقرائه بجميع قراءاته ومروياته، فمن الصحابة عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين: تتلمذ على يديه الكثيرون منهم المغيرة بن أبي شهاب المخزومي. وعلي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين: تتلمذ عليه كثيرون منهم أبو عبد الرحمن السلمي. وكذلك أُبي بن كعب من كتاب الوحي: تتلمذ عليه كثيرون منهم عبد الله بن عباس وأبو هريرة. وكذلك زيد بن ثابت الأنصاري: هو الذي جمع القرآن في عهد الخليفتين، فقد تتلمذ عليه كثيرون منهم عبد الله بن عمر وأنس بن مالك. وعبد الله بن مسعود: الذي قال عنه المصطفى عليه الصلاة والسلام: ((من أحب أن يقرأ القرآن غضاً [2]كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد))[3]، فقد تتلمذ

---

(1) النشر في القراءات العشر 6/1.

(2) الغَضّ: هو الطَّري الذي لم يتغير، أراد طريقه في القراءة وهيئته فيها، النهاية في غريب الحديث 371/4.

(3) أخرجه الامام أحمد في المسند 445/1، وأخرجه البخاري في التاريخ الكبير 2:3/ 308، وصحح إسناده الأرناؤوط في تحقيقه للمسند (309/1).

عليه كثيرون منهم علقمة بن قيس [1]، والأسود بن يزيد النخعي[2]. وأبو موسى الأشعري: الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: ((لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود))[3] فقد تتلمذ على يديه الكثيرون منهم سعيد بن المسيب وأبو رجاء العطاردي [4].

وكل هذا يدل على الاهتمام الكبير من الصحابة رضوان الله عليهم بكتاب الله تعالى قولاً وعملاً [5].

ومن أهم العوامل التي أدت بالصحابة إلى حفظ القرآنِ في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم [6]:

1) أن الصحابة كانوا أميين لا يعرفون القراءة ولا الكتابة إلا نزر يسير منهم، ولذلك كانوا يعتمدون على حافظتهم؛ لأن الحفظ هو السبيل الوحيد إلى إحاطتهم بالقرآن الكريم.

---

(1) علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي، فقيه الكوفة وعالمها ومقرئها، جَوَّد القرآن على ابن مسعود، توفي 62 هـ السير 53/4، الأعلام 248/4.

(2) الأسود بن يزيد بن قيس النخعي الكوفي ابن أخي علقمة، تابعي فقيه، من رؤوس العلم، قرأ على عبد الله بن مسعود، توفي سنة 75 هـ، انظر السير 50/4، الأعلام 230/1.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن (5048) وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحسان تحسين الصوت بالقرآن 457/1 (236).

(4) أبو رجاء العطاردي، عمران بن مِلحَان التميمي البصري، من كبارِ المخضرمين، أدرك الجاهلية وأسلم بعد فتح مكة، مات سنة خمس ومئة السير 254/4، تقريب التقريب /431، الاستيعاب 1211/3.

(5) الإتقان للسيوطي 204، مناهل العرفان 414/1، فضائل القرآن العظيم لابن كثير 85 –93، القراءات للدكتور شعبان إسماعيل 62، 63، 64.

(6) انظر: البيان في مباحث من علوم القرآن لعبد الوهاب غزلان 146-156.

2) المحبة الصادقة للرسول صلى الله عليه وسلم وما يتصل به وما نزل عليه، ومن المعلوم أن الحب إذا صدق وتمكن حمل المحب حملاً على ترسم آثار محبوبه والتلذذ بحديثه والإكثار بأخباره، ولذلك كان حب الصحابة للرسول صلى الله عليه وسلم من أقوى العوامل على حفظهم كتاب الله تعالى حيث كانوا يتسابقون إلى كتاب الله يأخذون عنه ويحفظون منه.

3) أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا أمة يضرب بهم المثل في الذكاء وقوة الحافظة وصفاء الطبع وسيلان الذهن وحدة الخاطر.

أما كتابة القرآن فكان يقصد منها زيادة التوثق والاطمئنان، وهذا هو معنى قول زيد بن ثابت رضي الله عنه: ((لم أجدهما عند غيره)) أي: لم أجدهما مكتوبتين، ومع أن الكتابة كان يقصد منها زيادة التوثق والاطمئنان، إلا أن القرآن قد تواتر كتابياً أيضاً، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر بكتابة الآية كما نزلت ساعة نزولها، ويقرؤها على المؤمنين ليحفظوها، وقد اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم كُتَّاباً للوحي من ألمع الصحابة كالخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وممن اشتهر بكتابة القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم: عبد الله بن سعد ابن أبي سرح وهو أول من كتب له بمكة، والزبير بن العوام ومعاوية، وخالد وأبان ابنا سعيد بن العاص بن أمية، وأبي بن كعب وهو أول من كتب له بالمدينة، وزيد بن ثابت، وشرحبيل بن حسنة، وعبد الله بن رواحة، وعمرو بن العاص، وخالد بن الوليد، والأرقم بن أبي الأرقم، وثابت بن قيس، وعبد

الله بن الأرقم الزهري، وحنظلة بن الربيع الأسدي وغيرهم (1).

وكان هؤلاء الصحابة يكتبون ما يمليه عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم وما يرشدهم إلى كتابته من غير أن يزيدوا فيه حرفاً أو ينقصوا منه حرفاً (2)، فكان القرآن ينْزل شيئاً فشيئاً، وكلما نزل شيءٌ قرأه النبي صلى الله عليه وسلم وعلمه أصحابه، فعن عُثْمَانَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلى الله عَليهِ وَسَلمَ مِمَّا يَأْتِي عَليهِ الزَّمَانُ وَهُوَ تَنْزِلُ عَليهِ السُّوَرُ ذَوَاتُ العَدَدِ فَكَانَ إِذَا نَزَل عَليهِ الشَّيءُ دَعَا بَعضَ مَن كَانَ يَكتُبُ فَيَقُولُ: ضَعُوا هَؤُلاءِ الآيَاتِ فِي السُّورَةِ التِي يُذكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا، وَإِذَا نَزَلت عَليهِ الآيَةُ فَيَقُولُ: ضَعُوا هَذِهِ الآيَةَ فِي السُّورَةِ التِي يُذكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا (3).

وكان نزول القرآن على غير الترتيب الذي نقرؤه الآن في السور الكريمة، بل كان ذلك الترتيب بعد النُّزول بعمل النبي صلى الله عليه وسلم بوحي من الله تعالى، فكان عليه الصلاة والسلام يقول لهم كما نُقل: ((ضعوا آية كذا في موضع كذا))، فتكون بجوارها متسقة متلاحقة المعنى مترابطة متناسقة اللفظ

(1) الاستيعاب على هامش الإصابة 51/1، فتح الباري 16/9-18، المدخل إلى القرآن الكريم 338، 339.

(2) المدخل لدراسة القرآن الكريم 339.

(3) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة التوبة 272/3 (3086) وقال عقبه: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب من جهر بها 208/1 (786، 787)، وأخرجه ابن أبي داود في المصاحف، خبر قران سورة الأنفال بالتوبة 230، وأخرجه الإمام أحمد في المسند 57/1 69، وأخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، بسم الله الرحمن الرحيم 220/2 وباب تفسير سورة التوبة 330/2، وقال عقبه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى كتاب الصلاة 42/1، والحديث حسن لغيره.

تلتقي بها كأنها لِفْقٌ معها وكأنهما كلام واحد قيل في زمن واحد أحدهما لاحق والآخر سابق، وكأن المتكلم قالهما في نفس واحد من غير زمن بينهما يتراخى أو يتباعد، وذلك من سر الإعجاز، ولا غرابة في ذلك لأن القائل واحد وهو الله سبحانه وتعالى العليم الخبير، ولذلك كان ترتيب القرآن الكريم في كل سورة بتنْزيل من الله تعالى [1].

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يكتبون القرآن في العُسُب[2]، واللخَاف[3]، والألواح[4]، والأكتاف[5]، والأضلاع[6]، والأقتاب[7]، والرقاع[8]، والأديم[9]، يقول زيد بن ثابت رضي الله عنه: ((كنا عند رسول الله

(1) القرآن الكريم، المعجزة الكبرى، محمد أبو زهرة ص 27، وانظر البيان في مباحث من علوم القرآن 164.

(2) بضم المهملتين ثم وحدة جمع عسيب وهو جريد النخل الذي كانوا يكشطون الخوص عنه ويكتبون في الطرف العريض، النهاية في غريب الحديث 234/3، فتح الباري 14/9.

(3) بكسر اللام ثم خاء معجمة خفيفة وآخره فاء جمع لخفة بفتح اللام وسكون المعجمة وهي الحجارة الرقيقة، وقال بعضهم: صفائح الحجارة الرقاق، وخصها بعضهم بالبيضاء فقال: حجارة بيض رقاق، النهاية في غريب الحديث 244/4، فتح الباري 14/9.

(4) اللوح: الكَتف وكل عريض يكتب فيه، وفي القاموس المحيط: كل صحيفة عريضة خشب أو عظم، الصحاح 402/1، القاموس المحيط 256/1.

(5) جمع كتف وهو العظم الذي للبعير أو الشاة كانوا إذا جف كتبوا فيه، وفي النهاية الكتِف: عظم عريض يكون في أصل كَتِف الحيوان من الناس والدواب كانوا يكتبون فيه لقلة القراطيس عندهم، النهاية في غريب الحديث 150/4، فتح الباري 14/9.

(6) جمع ضِلع، والضِّلع واحد الضلوع والأضلاع وهي معروفة، الصحاح 1250/3.

(7) بقاف ومثناة وآخره موحدة جمع قَتَب بفتحتين وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه، النهاية في غريب الحديث 11/4، فتح الباري 14/9.

(8) جمع رُقعة بالضم وهي تكون من جلد أو ورق أو كاغد أو غيره، فتح الباري 14/9.

(9) هو الجلد، انظر لسان العرب 9/12.

صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرّقاع)) [1]، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يعرضون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لديهم من القرآن حفظاً وكتابة كذلك، ولم ينتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى إلا والقرآن كله مكتوب مسطور بالأحرف السبعة غير مجموع في مصحف واحد، ولذلك قال الزركشي: ((وإنما لم يكتب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم مصحف لئلا يفضي إلى تغييره كل وقت فلهذا تأخرت كتابته إلى أن كمل نزول القرآن بموته صلى الله عليه وسلم)) [2]، والأدلة على كتابة القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة منها:

قوله صلى الله عليه وسلم: ((لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه)) [3].

وقول الصديق لزيد بن ثابت رضي الله عنهما: ((إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم)) [4].

وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم والأمة الإسلامية قد حفظت القرآن واستظهرته وكتبته بالطرق والوسائل الموجودة لديها، وكانت هذه الكتابة ملحوظاً

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب في فضل الشام واليمن 734/5، وقال: حسن غريب. وأخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التاريخ 611/2، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والحديث صحيح.

(2) البرهان للزركشي 262/1.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم 1818/4 (3004).

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ ص974 (4679).

فيها أن تشمل الأحرف السبعة غير أن بعض الصحابة كان قد كتب منسوخ التلاوة وبعض ما هو ثابت بخبر الواحد، وربما كتبه غير مرتب، ولم يكن القرآن على ذلك العهد مجموعاً في صحف ولا مصاحف عامة [1] للأسباب الآتية:

1) لم توجد الدواعي لجمعه كما وجدت في عصر أبي بكر وعثمان، فالمسلمون بخير والحفاظ كثرة، وأكثر الناس يعولون على الحفظ أكثر من الكتابة، وأدوات الكتابة لم تكن متوافرة بالصورة الكبيرة.

2) أن القرآن لم ينْزل مرة واحدة بل نزل منجماً في خلال ثلاث وعشرين سنة، وكان عرضة للنسخ ورفع تلاوة بعضه، فلو جمع في ذلك العهد لكان في ذلك من العناء والمشقة الشيء الكثير، قال الزركشي في البرهان: ((فثبت أن القرآن كان على هذا التأليف والجمع في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما تُرِك جمعه في مصحف واحد؛ لأن النسخ كان يَرِدُ على بعضه، فلو جمعه ثم رفعت تلاوة بعضه لأدى إلى الاختلاف واختلاط الدين، فحفظه الله في القلوب إلى انقضاء زمن النسخ، ثم وَفَّق لجمعه الخلفاء الراشدين)) [2].

3) كانت الآيات الكثيرة تنْزل من السور الكثيرة المختلفة على حسب الدواعي بلا ترتيب ثم يعلم الترتيب فيما بعد، فلو كتب أولاً لاحتيج إلى كتابته ثانياً وفي ذلك من المشقة ما فيه، ولم ينتقل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى إلا وكان القرآنُ كله مكتوباً في الرقاع والعسب، ولم يجمع في صحف

---

(1) مناهل العرفان 248/1.

(2) البرهان في علوم القرآن 235/1.

أو مصحف لأسباب معروفة، وهذا يدل على أن كُتَّاب الوحي قد سجلوا القرآنَ وكتبوه تحت الإشراف المباشر للنبي صلى الله عليه وسلم، وبذلك تتوافر الكتابة مع الحفظ والترتيل، فيلتقي حفظ السطور مع حفظ الصدور[1].

وقد وردت الإشارة في القرآن إلى كتابة القرآن وتلاوته، فقال جل وعلا في أول محكم آياته: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ * ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ * ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾، ثم قال جل وعلا: ﴿نٓ ۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ * مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٍ﴾، وهذا يدل على أن التوكيد على القراءة والكتابة قد بدا جلياً واضحاً منذ أوائل الوحي [2]، وقد جاء في القرآنِ كلمتا القلم والقراءة في بعض من آياته التي سبق ذِكرها، وأكثر من ذلك أن الله وصف القرآنَ في أماكن متعددة بلفظة كتاب، والتي تأتي أحياناً مُعَرَّفة (الكتاب)، وهذا مثالٌ آخَر في قوله تعالى ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ [الأنعام: 92][3].

الشبهة السادسة: أن القرآنَ الكريم حُرف وبُدل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وفي صدر الإسلام الأول:

وممن قال بذلك (فيل، وجولدتسيهر، وبول، ونولدكه) [4]، والأدلة على تحريفه وتغييره عندهم كثيرة من أهمها: عدم نقطه وشكله مما يجعل القارئَ لا يثق

---

(1) مدخل إلى القرآن ص 287.

(2) انظر: الاستشراق والقرآن العظيم د. محمد خليفة ص 79، 80.

(3) انظر: الاستشراق والقرآن العظيم د. محمد خليفة ص 82.

(4) المستشرقون والدراسات القرآنية ص 16، الإسلام والمستشرقون 201.

فيما هو مكتوب، وقد قال جولدتسيهر: ((وإذاً فاختلاف تحلية هيكل الرسم بالنقط واختلاف الحركات في المحصول الموحد القالب من الحروف الصامتة كانا هما السبب الأول في نشأةِ حركة اختلاف القراءات في نصٍ لم يكن منقوطاً أصلاً أو لم تتحر الدقة في نقطه أو تحريكه)) [1]، واعتمد في ذلك على روايات ضعيفة وعلى خيالات وأوهام.

وقد جاء في الموسوعة البريطانية: (إن طبعة القرآنِ العربية لم تكن كاملة، وذلك لوجود حروف ساكنة متعددة تثير كثيراً من البلبلة في الفهم، كما لم يكن هناك طريقة بواسطتها يتبين أن حروف العلة من الممكن أن تميز بين معاني مختلفة ومتأصلة في مجموعة خاصة من الحروف الساكنة، ولتكون الطبعة صحيحة لا بد من حفظها في الصدور دون كتابتها، إلا أن هذه الطريقة أثارت اختلافاً نتيجةً لتعدد القراءات، إلا أنه أخيراً أدخلت تحسينات على الطبعة العربية حيث أدخلت إشارات لتميز الحروف المتشابهة في الشكل، وحروف العلة الطويلة دلل عليها بالحرف (ألف) بدل (أ)، و(واو) بدل (يو)، و(يا) بدل (ي)، كما أن إشارات حروف العلة وضعت فوق أو تحت الحرف حيث أعطت لوناً خاصاً لا علاقة له بلب القرآن).

والرد على ذلك من وجهين:

الوجه الأول: أن عدم النقط والإعجام كان يمثِّل تنوع القراءات القرآنية التي رواها قراء الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [2]، والقرآن الكريم

---

(1) مذاهب التفسير الإسلامي ص 97، وانظر: آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره 365/2.

(2) انظر: دعوى المستشرقين أن القرآن من صنع البشر ص 214.

نزل على سبعة أحرف كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ هَذَا القُرآنَ أُنزِل عَلى سَبعَةِ أَحرُفٍ فَاقرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنهُ»[1] لحِكمٍ عظيمة، ومن أهم الحكم:

1) التخفيف على الأمة الإسلامية فإنها كانت قبائل كثيرة، وكان بينها اختلاف في اللهجات ونبرات الصوت.

2) الإجابة لقصد نبيها أفضل الخلق حيث أتاه جبريل فقال له: «إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف، فقال صلى الله عليه وسلم: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك، ولم يزل يردد المسألة حتى قال: إِنَّ اللهَ يَأمُرُكَ أَن تَقرَأَ أُمَّتُكَ القُرآنَ عَلى سَبعَةِ أَحرُفٍ فَأَيُّمَا حَرفٍ قَرَؤوا عَليهِ فَقَد أَصَابُوا»[2]، وذلك أن الأنبياء السابقين عليهم السلام كانوا يبعثون إلى قومهم الخاصين بهم، والنبي صلى الله عليه وسلم بعث إلى جميع الخلق أحمرها وأسودها عربيها وعجميها، وكانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة وألسنتهم شتى، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها أو من حرف إلى آخر، فلو كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا يستطاع[3] لظروف الأمية واللغات واللهجات، وهذه التوسعة

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف 1087، 4992، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، انظر مسلم بشرح النووي 99/6.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، انظر مسلم بشرح النووي 103/6.

(3) النشر في القراءات العشر 22/1.

كانت في الألفاظ دون المعاني، وفي حدود مانزل به جبريل وما سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك بدليل أن كلا من المختلفين كان يقول: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعقب على قراءة كل من المختلفين بقوله: ((هكذا أنزلت))، ولا يتوهمنَّ متوهم أن ذلك كان باتباع الهوى والتشهي، فذلك ما لا يقوله عاقل، لأن القراءة سنة متبعة [(1)].

3) جمع الأمة الإسلامية الجديدة على لسان واحد يوحد بينها وهو لسان قريش الذي نزل به القرآن الكريم، والذي انتظم كثيراً من مختارات ألسنة القبائل العربية التي كانت تختلف إلى مكة في موسم الحج وأسواق العرب المشهورة فكان القرشيون يستملحون ما شاءوا، ويصطفون ما راق لهم من ألفاظ الوفود العربية القادمة إليهم من كل حدب وصوب ثم يصقلونه ويهذبونه ويدخلونه في دائرة لغتهم المرنة التي أذعن العرب لها بالزعامة، وعقدوا لها راية الإمامة [(2)].

4) تيسير القراءة والحفظ على قوم أميين؛ لأن حفظ كلمة ذات وجوه في الأداء أيسر من حفظ جمل من الكلام تؤدي معاني تلك القراءات.

5) إعجاز القرآن الكريم للفطرة اللغوية عند العرب وفي المعاني والأحكام[(3)].

---

(1) انظر: منهج الفرقان لمحمد على سلامة 58، 59، والمدخل لدراسة القرآن الكريم171، 172، مناهل العرفان 151، 252.

(2) انظر: مناهل العرفان 146/1، 147.

(3) انظر: مباحث في علوم القرآن مناع القطان 145، 146.

6) فيه آية بالغة وبرهان قاطع على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وعظمة الآية القرآنية، إذ إنه برغم تنوع الأداء لم يتطرق إليه تناقض ولا تخالف، بل يصدق بعضه بعضاً ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد وأسلوب واحد.

الوجه الثاني: أن مصحف الخليفة الراشد عثمان بن عفان الذي تسلمه من أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها كان خالياً من النقط والإعجام؛ وذلك لأن النقط والإعجام لم يتم إلا بعد منتصف القرن الأول من الهجرة على يد أبي الأسود الدؤلي(1).

يقول ابنُ شِهَابٍ: إنَّ أَنَسَ بنَ مَالكٍ حَدَّثَهُ أَنَّ حُذَيفَةَ بنَ اليَمَانِ قَدِمَ عَلى عُثمَانَ، وَكَانَ يُغَازِي أَهل الشَّامِ فِي فَتحِ إِرمِينِيَةَ وَأَذرَبِيجَانَ مَعَ أَهل العِرَاقِ، فَأَفزَعَ حُذَيفَةَ اختِلافُهُم فِي القِرَاءَةِ فَقَال حُذَيفَةُ لعُثمَانَ: يَا أَمِيرَ المؤمِنِينَ أَدرِك هَذِهِ الأُمَّةَ قَبل أَن يَختَلفُوا فِي الكِتَابِ اختِلافَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَأَرسَل عُثمَانُ إِلى حَفصَةَ أَن أَرسِلي إِلينَا بِالصُّحُفِ نَنسَخُهَا فِي المصَاحِفِ ثُمَّ نَرُدُّهَا إِليكِ فَأَرسَلت بِهَا حَفصَةُ إِلى عُثمَانَ، فَأَمَرَ زَيدَ بنَ ثَابِتٍ وَعَبدَ اللهِ بنَ الزُّبَيرِ وَسَعِيدَ بنَ العَاصِ وَعَبدَ الرَّحمَنِ بنَ الحَارِثِ بنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي المصَاحِفِ، وَقَال عُثمَانُ للرَّهطِ القُرَشِيِّينَ الثَّلاثَةِ: إِذَا اختلفتُم أَنتُم وَزَيدُ بنُ ثَابِتٍ فِي شَيءٍ مِن القُرآنِ فَاكتُبُوهُ بِلسَانِ قُرَيشٍ فَإِنَّمَا نَزَل بِلسَانِهِم، فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي المصَاحِفِ رَدَّ عُثمَانُ الصُّحُفَ إِلى حَفصَةَ وَأَرسَل إِلى كُل أُفُقٍ بِمُصحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِن القُرآنِ فِي كُل صَحِيفَةٍ أَو مُصحَفٍ أَن يُحرَقَ (2).

---

(1) ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكناني، أبو الأسود، واضع علم النحو، كان معدوداً من الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء والفرسان والحاضري الجواب، توفي سنة 69 هـ، الأعلام 237/3.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن ص 1086.

فالصحابة رضوان الله تعالى عليهم لم يكونوا يقرؤون بهواهم وكيفما يشاؤون، بل كانت في حدود المسموعِ المتلقَّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا ما أجمع عليه العلماء المحققون [1]، والاعتماد على الحفظ في الصدور كان أكثر من السطور، قال العلامة المحقق ابن الجزري: ((ثم إن الاعتماد في نقل القرآنِ على حفظ القلوب والصدور لا على حفظ المصاحف والكتب، وهذه أشرف خصيصةٍ من الله تعالى لهذه الأمة))[2]، ثم إن رسم المصحف كان تابعاً للرواية والنقل من أفواه الحفظة، فإذا احتمل الرسم قراءةً غير مروية ولا ثابتة ولا مسندة إسناداً صحيحاً رُدّت كما ذكر ذلك ابن الجزري، ومجهود عثمان بن عفان ومن معه كان من أجل جمع القرآنِ على حرف قريش الذي هو واحدٌ من سبعة أحرف، أما اختلاف قراءة الكلمة الواحدة فلا يعتبر تناقضاً لا سيما وأن ذلك الاختلاف قد صحت نسبته إلى من أنزل عليه القرآن، وكان ذلك الاختلاف لفوائد لغوية وتشريعية، وقد بَيَّنَ ابن الجزري أحوال اختلاف القراءة وحصرها في ثلاثة:

1. اختلاف اللفظ والمعنى واحد.
2. اختلافهما مع جواز اجتماعهما في شيءٍ واحد.
3. اختلافهما مع امتناع جواز اجتماعهما في شيءٍ واحد بل يتفقان من وجه آخَر لا يقتضي التضاد [3].

---

(1) انظر: المدخل للقرآن الكريم، د. محمد أبو شهبة ص 207. 208.

(2) النشر في القراءات العشر 6/1.

(3) النشر في القراءات العشر 1/49-50.

فإجماع الصحابة على مصحف عثمان دليلٌ واضحٌ على صحة النص القرآني، ومصحف عثمان ما هو إلا نسخة من المصحف الذي كان عند حفصة، والمصحف الذي كان عند حفصة رضي الله عنها هو الذي قام زيد ابن ثابت رضي الله عنه بجمعه بأمر من أبي بكر، فَكَانَت الصُّحُفُ عِندَ أَبِي بَكرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ، ثُمَّ عِندَ عُمَرَ حَيَاتَهُ، ثُمَّ عِندَ حَفصَةَ بِنتِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُم جميعاً [1]، وكل ذلك يدل دلالة واضحة على أن القرآنَ الكريم لم يحرف ولم يبدل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وفي صدر الإسلام الأول كما زعم المستشرقون.

---

(1) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن ص 1086.

خاتمة وتتضمن أهم النتائج التي توصلتُ إليها

1. أن القرآن الكريم كلام الله تعالى المنَزَّل بالوحي على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم باللفظ والمعنى كلمة كلمة، بل حرفاً حرفاً، فهو منقولٌ إلينا عن طريق التواتر.

2. أنه الكتابُ السماوي الوحيد الذي حفظه الله تعالى، فقد وصل إلينا كاملاً غير ناقص سالماً من التغيير والتحريف والزيادة والنقصان كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

3. أن القرآنَ حق، والوحيَ حق، وجبريل حق، والنبوةَ حق، ومحمداً صلى الله عليه وسلم حق، ويَستحيل أن يكونَ القرآنُ من عقل محمدٍ صلى الله عليه وسلم أو نِتاجِه أو فكرِه أو كلامِ مخلوقٍ سواه، بل هو وحيٌ إلهي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: 42]، ووظيفة محمد صلى الله عليه وسلم التبليغ.

4. الثقةُ والوثوقُ في صحةِ النصِّ القرآني وأمانة النقل من النبي صلى الله عليه وسلم إلى الصحابة إلى التابعين، وهذا ما أكده المستشرق الدكتور الطبيب موريس بوكاي [1] الذي قال: ((لو كان مؤلف القرآن إنساناً فكيف استطاع في القرن السابع من العصر المسيحي أن يكتب ما

(1) مستشرق فرنسي نال شهادة الطب وأصبح من أمهر الجراحين في فرنسا، أسلم وقال: ((لقد دخلت الإسلام وآمنت بهذا القرآن، وذلك بسبب قوله تعالى: ((فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية)) منقول من طريق الإسلام نت.

اتضح أنه يتفق اليوم مع العلوم الحديثة ؟ ليس هناك أيُّ مجال للشك، فنص القرآنِ الذي نملك اليوم هو النص الأول نفسه، ومن ذا الذي كان في عصر نزوله يستطيع أن يملك ثقافة علمية تسبق بحوالي عشرة قرون ثقافتنا العلمية ؟ إن في إشارات القرآنِ قضايا ذات صبغة علمية تثير الدهشة)) [1].

5. أن واجب العلماء والدعاةِ كبير في كشف باطل المستشرقين وتحريفاتهم للقرآنِ الكريم، والرد عليهم بالحجج الساطعة والبراهين الواضحة.
6. أنه لا يوجدُ دليلٌ واحدٌ صحيح على أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قد أخذ القرآن من يهودي أو نصراني.
7. أن غالبية المستشرقين يُجمعون على الوقوف في وجه القرآنِ الكريم، وكتبهم مليئةٌ بالأكاذيب على القرآنِ الكريم ومحاولات النيل منه.
8. أن الاستشراقَ لونٌ من ألوان الغزو الفكري، وللمستشرقين أهدافٌ خطيرة، أهمها إثارة الشبهاتِ حول الإسلام، وكثيراً ما يحرفون النصوص الإسلامية ويضعونها في غير موضعها، وقد دأب المستشرقون على ذلك قديماً وحديثاً.
9. اندفع المستشرقون إلى هذه الطعون بسبب عداوة الغرب للإسلام التي تأصلت فيهم فألجأتهم إلى الكذب والتشويه وذكر أساطير خيالية مبنية على الأوهام، وبسبب موروثهم الاستشراقي من جهة أخرى.

---

(1) انظر: مناهج المستشرقين 37/2.

10.أن ذلك لا يمنع من وجود طائفة من المستشرقين عندهم نوعٌ من الإنصاف والحياد مثل المستشرق روبرت هورتون كاميرون الذي قال: ((هذه الكتب فريدة في نوعها في كثير من الوجوه، وهي تسمح للإنسان بتدبرها وتمحيصها حتى يثق بصحةِ ما جاءت به في كثير من المواطن، وقد تحقق كثيرٌ من نبوءتها بكل دقة بعد قرونٍ عديدة، ولم يثبت خطؤها في أي أمرٍ تاريخي أو جغرافي))(1)، ومثل السير وليم مور(2) الذي قال: ((فلعل القرآن هو الكتاب الوحيد في الدنيا الذي بقي نصه محفوظاً من التحريف طوال ألف ومائتي سنة))(3)، ومثل البروفيسور وهيري الذي قال: ((إن القرآنَ أبعد الصحف القديمة بالإطلاق عن الخلط والإلحاق وأكثرها صحة وأصالة)) (4) ومثل البروفيسور إدوارد جيبون الذي قال: ((إن القرآنَ هو قانون الهداية بحيث لا مثيل له)) (5)، ومثل الأديب الإنجليزي جورج برناردشو الذي قال: ((القرآن هو الكتاب الوحيد الذي يستطيع أن يساير الركب البشري في مقتضياته كلها في عصوره المختلفة بحكم شمول تعاليمه، وهو يستطيع أن يستلفت أنظارَ البشرية إليه في كل عصر ومصر، وأقول: بصراحة: إن القرآنَ ليس غيره يستطيعُ أن يحل

(1) انظر: الإسلام والمستشرقون ص 412.

(2) مستشرق اسكتلندي كان رئيساً لجامعة أدنبره، من آثاره: حياة محمد، والتاريخ الإسلامي، انظر المستشرقون نجيب العقيقي 63/2.

(3) انظر: الإسلام والمستشرقون ص 418.

(4) انظر: الإسلام والمستشرقون ص 418.

(5) انظر: الإسلام والمستشرقون ص 419.

معضلات قضايا النوع البشري المعقدة بحيث يتيسر للإنسانية أن تصل إلى غايتها المنشودة من الطمأنينة والهدوء اللذين تتسكعُ الإنسانية في البحث عنهما منذ قرون»[1]، ومثل ما ذُكر في الموسوعة البريطانية اعتراف المستشرقين بعدم إمكانية محاكاة القرآن والإتيان بمثله، وهذا أمرٌ يعتبر مما وفقت فيه دائرة المعارف البريطانية [2].

11. وجوبُ حمايةِ المسلمين من الاستشراق والمستشرقين وذلك بتحصينهم بالإسلام ومبادئه حتى لا يكونوا عرضة لهم ولأهدافهم.

وأوصي ببيان حقيقة القرآن الكريم وعَظمة هذا الدين، وبيان حقيقة المستشرقين وكشف فساد مزاعِمِهم ووضعِ برامج للحد من خُططهم، وأقترح إنشاء مراكز علمية متخصصة عن الاستشراق، ودراسة كل ما يتعلق بالمستشرقين تحت إشراف منظمة المؤتمر الإسلامي، أو أي جهةٍ أخرى، وتوضع لها ميزانية مستقلة.

وفي ختام هذا البحث أرفع أسمى آيات الشكر والتقدير إلى مقام خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز وحكومته الرشيدة على خدمة كتاب الله تعالى والاعتناء به قولاً وفعلاً، وما مجمع الملك فهد إلا ثمرة من ثمرات هذه الدولة (السعودية) المباركة التي دأبت وحرصت على خدمة كتاب الله تعالى.

أهم المصادر والمراجع

---

(1) انظر: الإسلام والمستشرقون ص 420.

(2) انظر: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية ص 23.

1. آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، إعداد د. عمر بن إبراهيم رضوان.
2. الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين، د. شوقي أبو خليل، الطبعة الأولى 1416هـ، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان.
3. أضواء على الاستشراق، د. محمد عبد الفتاح عليان، دار البحوث العلمية الطبعة الأولى 1410هـ.
4. إعجاز القرآن، مصطفى صادق الرافعي.
5. الأعلام، لخير الدين الزِّرِكلي، طبعة دار العلم للملايين، بيروت لبنان.
6. الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم. د. عبد الراضي محمد عبد المحسن ضمن بحوث ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه.
7. الاستشراق، الذرائع، النشأة والمحتوى، الدكتور السيد أحمد فرَج.
8. الاستشراق والدراسات الإسلامية، عبد القهار داود العاني المدرس في كلية الآداب، مطبعة العاني بغداد.
9. الاستشراق والدراسات الإسلامية، للأستاذ الدكتور علي بن إبراهيم الحمد النملة، مكتبة التوبة، الطبعة الأولى 1418هـ.
10. الاستشراق والقرآن العظيم، للدكتور محمد خليفة، راجعه وقدم له الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين، دار الاعتصام.
11. الاستشراق والمستشرقون، وجهة نظر، د. عدنان محمد وزان.

12. الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي، د. عبد العظيم المطعني، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع.
13. الإسلام والمستشرقون، مجموعة من الأبحاث التي قدمت للندوة العلمية عن الإسلام والمستشرقين التي عقدت بمجمع دار المصنفين في الهند، تأليف نخبة من العلماء المسلمين.
14. البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
15. البيان في إعجاز القرآن، د.صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار للنشر والتوزيع.
16. الجامع الصحيح (وهو سنن الترمذي) لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، توزيع دار الباز.
17. دعوى المستشرقين أن القرآن من صنع البشر، عرضها، ومناقشتها، والرد عليها، رسالة أعدها الباحث أحمد شرف الدين للحصول على درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
18. صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار السلام للنشر والتوزيع.
19. صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج، دار ابن حزم.

20. ضعيف سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.
21. علم القراءات، نشأته، أطواره، أثره في العلوم الشرعية، د. نبيل محمد إبراهيم آل إسماعيل، مكتبة التوبة.
22. على مائدة القرآن مع الكتاب والمفسرين، للأستاذ أحمد محمد جمال.
23. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة بيروت، لبنان.
24. فضائل القرآن، لابن كثير الطبعة الأولى 1406هـ، دار المعرفة بيروت.
25. القراءات في نظر المستشرقين والملحدين، الشيخ عبد الفتاح عبد الغني القاضي، مكتبة الدار بالمدينة.
26. قضايا قرآنية في الموسوعة القرآنية، نقد مطاعن ورد شبهات، د. فضل حسن عباس، دار البشير، عمان.
27. القواعد والإشارات في أصول القراءات، أحمد بن عمر الحموي، دار القلم.
28. مباحث في علوم القرآن، مناع خليل القطان.
29. المدخل لدراسة القرآن الكريم للدكتور محمد محمد أبو شهبة، الطبعة الثانية.
30. المستشرقون والإسلام، المهندس زكريا هاشم زكريا، إصدار المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية 1385هـ.

31.المستشرقون والدراسات القرآنية، د. محمد حسن الصغير، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
32.المستشرقون، موسوعة في تراث العرب مع تراجم المستشرقين ودراستهم عنه منذ ألف عام حتى اليوم، نجيب العقيقي، دار المعارف بمصر.
33.المستشرقون ومشكلات الحضارة، د. عفاف سيد صبرة دار الفكر العربي.
34.المستشرقون والقرآن، إبراهيم عوض، دراسة لترجمات نفر من المستشرقين الفرنسيين للقرآن وآرائهم فيه، دار القاهرة.
35.المستشرقون والقرآن، د. إسماعيل سالم عبد العال، سلسلة دعوة الحق الصادرة من رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة العدد 104 عام 1410هـ.
36.المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية، طبع على نفقة إدارة إحياء التراث الإسلامي بقطر.
37.المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، دار الباز للنشر.
38.النبأ العظيم عن القرآن الكريم والطريقة المثلى في دراسته، الأستاذ محمد عبد الله دراز.
39.نزهة النظر شرح نخبة الفكر، لابن حجر، دار المكتبة العلمية.
40.النشر في القراءات العشر، لأبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزَري.
41.لسان العرب، لابن منظور، المكتبة الفيصلية.

42. لمحات الأنوار ونفحات الأزهار وري الظمآن لمعرفة ما ورد من الآثار في ثواب قارئ القرآن، للغافقي تحقيق د. رفعت فوزي، دار البشائر الإسلامية.
43. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر.
44. مصدر القرآن، دراسة لشبهات المستشرقين والمبشرين حول الوحي المحمدي، د. إبراهيم عوض، مكتبة زهراء الشرق.
45. المعجزة الخالدة، الدكتور حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية.
46. مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب التربية العربي لدول الخليج، صدَرَ في إطار الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجري.
47. وحيُ الله، حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة، نقض مزاعم المستشرقين د. حسن ضياء الدين العتر، سلسلة دعوة الحق الصادرة من رابطة العالم الإسلامي، بمكة المكرمة العدد 28 عام 1404هـ.

فهرس الموضوعات

مقدمة 2

الفصل الأول: تعريف القرآنِ في اللغة والاصطلاح. 10

الفصل الثاني: عن مصدر القرآنِ الكريم 15

المبحث الأول: المنَزِّل وهو المولى جل وعلا عن طريق جبريل عليه السلام 19

المبحث الثاني: عن طريقِ محمد صلى الله عليه وسلم. 27

المبحث الثالث: عن الصحابة، ووصول القرآن إلينا عن طريق التواتر............. 30

الفصل الثالث: شبهات المستشرقين حول مصدر القرآن.......................... 34

المبحث الأول: الاستشراق في اللغة والاصطلاح. 34

المبحث الثاني: دحضُ ونقدُ أهمِّ شبهاتِ المستشرقين حول مصدر القرآن الكريم 35

الشبهة الأولى: بشرية القرآن:.. 36

الشبهة الثانية: أن مصدر القرآن الديانات الأخرى: 46

الشبهة الثالثة: أن مصدر القرآن هو الحنيفية: 53

الشبهة الرابعة: أن الوحي حالة من الصرع يصيب النبي صلى الله عليه وسلم: 56

الشبهة الخامسة: أن القرآن الكريم لم ينقل عن طريق التواتر بل عن طريق الآحاد: 59

الشبهة السادسة: أن القرآنَ الكريم حُرف وبُدل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم
وفي صدر الإسلام الأول:... 70

خاتمة وتتضمن أهم النتائج التي توصلتُ إليها 77

أهم المصادر والمراجع: 81

فهرس الموضوعات 86